د. نجاة صادق الجشعمى

الحب
ما بين الاصطلاح والرمزية

دراسات نسوية

الكتاب : الحب ما بين الاصطلاح والرمزية " دراسات نسوية "

الكاتبة : د. نجاة صادق الجشعمى

الناشر: مركز الوطن العربى "رؤيا"

البريد الالكترونى : justhappy_man2000@yahoo.com
hafez66@live.com

تليفون : ٠١٢٨١١١١٨٧٥ – ٠١١١٦٤٠٩٥٦٨

الناشر : " العنوان " للنشر والتوزيع – الشارقة مويلح

ص.ب : ٨١٨١١ alenwan10@gmail.com

الناشر : دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر

تليفون : ٤٨٦٠٠١٢ / ٠٣

الطبعة الاولى : القاهرة ٢٠٢١

رقم الإيداع : ٢١٦٠ / ٢٠٢١

دار الكتب والوثائق القومية

إدارة الإيداع القانونى

الترقيم الدولى : I.S.B.N 471 – 01 – 525 – 752 - 3

الغلاف :

تصميم وإخراج : خالد شعبان

الجمع والصف الالكترونى : وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ : خالد شعبان

التوزيع :

دار الطباعة الحرة للطباعة والنشر

الإسكندرية : ١٠ ش ابن الشجاع – الأزريطة – الإسكندرية – ج.م.ع

تليفون : ٤٨٦٠٠١٢ / ٠٣

مكتبة ليلى : القاهرة – ش جواد حسنى – أمام بنك ناصر – متفرع من ش قصر النيل

تليفون : ٠١٠١٧٥٧٦١٥٩

مكتبة أكمل : الإسكندرية ١٨١ / ١٨٣ شارع أحمد شوقى – رشدى

تليفون : ٠٣٤٥٥٧٣٥٢

دراسات نسوية

بقلم

د. نجلاء نصير مصر
أ. أسمهان سعودي العراق
أ. سعاد جلال العراق
أ. سالمة المغربى مصر
أ. هويدا رجب موسى مصر
أ. سناء نويوه الجزائر

إهـــــداء

الإهداء ليس لى في هذا الكتاب فضل لولا فضل اللّه

ليس لى في هذا الكتاب فضل لولا ثراء ابداع الكاتب

ليس لى في هذا الكتاب فضل لولا الذين ساهموا بأقلامهم وبحوثهم . . .

فإلى جميع هؤلاء الأجلاء الذين جلوا لنا مرآة النقد بمدارس نقدية

متجددة فاشتركوا في الكتاب معى ليظهر للقارئ والباحث

والأكاديمى بهذه الصورة .

إليكم جميعا أرفع هذا الكتاب

كتابكم وجهدكم شكرًا لكم جميعًا

المقدمة

تواضع الكاتب وكبرياء ثراء النص

بقلم د. نجاة صادق الجشعمي – العراق

١ – هل الإبداع تواضع أم غرور أم رسالة ؟
٢ – هل يحق للكاتب أن يصاب بالغرور عندما يبدع ؟

إن أزمة الأخلاق ومن ثم أزمة البلاغة في التعبيرالثقافي النموذجي للواقع الثقافي الأدبي والنقدي في الوطن العربي سواء كان ذلك بسبب القلق الثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والبيئي الجمعي والفتقار إلى الحلول الجذرية المعالجة لقد توالت النكسات وويلات الحروب الطاحنة على المجتمع العربي بكافة أطيافه وطبقاته وفئاته العمرية فلايحق لنا نفي هذه الازمات وتداعياتها ولكن نؤكد بأنها أحد الاسباب بعد أن أصبحنا عاجزين في أيجاد الحلول والتحدي الجدي لهذا الخطر القاتل الفتاك بالحضارات والشعوب وخاصة الشعب العربي ....بعد هذه الكلمات القليلة الموجزة أستأثرني عنوان الرواية للكاتب المستنير ثقافياً ..

(لولم أعشقها)

ماهذا الجمال وأقتناء العتبات كلنا يعرف الابجدية وحروفها الذهبية لكن كيفية الاختيار والتوظيف ومدى أنسجام وتأثير وتحليل وتأكيد الذات والاخر فالعنوان يثير الشك أحياناً وأحياناً يؤكد الجنون والوله وأحياناً يتقن ويرجح التمثيل على القارئ فيعبر لنا رمزياً ب (لو)

(لو) هي حرف شرط غير جازم يفيد التعليق في الماضي أو المستقبل ، ويستعمل في الأمتناع أو في غير الإمكان أي أمتناع الجواب لأمتناع الشرط . مثل قول الكاتب (لو لم أعشقها) ... هنا تناص مع الاية القرآنية (ولو شاء الله لذهب بسمعهم) (١)..

وقد يكون(لو)حرف للعرض ويقترن جوابه بالفاء وقد يكون حرف للتقليل وأيضًا حرف دعاء ومرة يكون حرف للنفي وكثيرا مايستخدم كحرف يفيد الحض والأمر وأستخدمت لو أيضًا للتعميم والدلالة على المستقبل ...(٢)لكن الكاتب هنا يؤكد لنا عشقه أستخدم لو وألحق بها بأداة الجزم (لم) ثم الفعل وهو عشق ، أعشقها .أنا وهي (الهاء) في أعشقها داله على المعشوقة هنا تكمن جمالية وتطبيع اللغة وتواضع الكاتب وحنكته الموهوبة بأستخدام كنوزه اللغوية ..كيف تستطيع كاتبة وناقدة مبتدئة مثلي أن تحفر وتنقب وتتأهب للغوص في غياهب نصوص الكاتب لتستخرج الدرر وتفوز في

أنتقاء الكنوز الراقية الثمنية باهضة المعنى سواء من حيث الجمال اللفظي مادياً ومعنوياً بالاضافة إلى المتعة بأيقاض الحواس والاحساس فمثل هذه الكنوز متكبرة بكبرياء الاثراء الادبي ..وصيرورة الاحداث والتأملات والعلامات والارواح وأحيانا بعض المقاطع التناصية لروايات عالمية فنحن أمام طاقة أدبية عبقرية وثقافة أبداعية ولغة ثرية رامزة . فهل يعني هذا أن المبدع أستثار عناصر الإثارة والمفاجات في روايته (لو لم أعشقها) أبتداً بأختيار العتبة واللوحة التي تمردت على الغلاف وأضافة بعد أختيرت اللون الازرق المتمثل بزرقة السماء ومياه البحر المتوسط التي تتلون بين الحين والحين تارة ابيض وأخرى أبيض مزرق ومرة أخرى فيروزي ومن ثم أزرق قاتم .فهنا كاتبنا يوضح لنا الربط بين السماء والماء في الطبيعة بين الاحساس والحياة بين الشفافية والخوف بين الجدية والمحافظة بين الاخلاص والصراحة والصدق بالاضافة إلى توضيح فلسفة الكاتب من خلال اختيار اللوحة بان الحبيبة أو العشيقة تكاد تجزم وتتخذ القرارات الخاطئه بحق العشيق فهذا يدل أن الكاتب يبحث عن النهج الفكري وليس المادي مع علمنا أن اللون الازرق وفق الدراسات العلمية والنفسية أثبتت أنه لون الاسترخاء وله تأثير أيجابي على القلب والرئتين ويقلل من الشد العصبي

ويسيطر على العواطف والمشاعر بالاضافة إلى أنه يعطي الاحساس بالقوة من حيث الاستقرار النفسي والمعنوي لهذا الإختيار سبب هو الابداع .....(٧) ..ثم يستهل كاتبنا روايته بعد الاستطراد فتتمرد صفحات الرواية على العتبة واللوحة بالاهداءات الاول إلى هؤلاء الزناة ..ويعرفهم لنا ويعريهم أمام القارئ المتلقي والدارس والناقد والباحث عن ثقافة الكاتب فيقول : الزنا بالعين والكلام والفكر واللمس والهمس والكتابة والرؤيا بأحلام اليقظة وبالفعل إلى هؤلاء السخفاء الذين يظنون أنهم يلعبون على الرب باتلصلاة والمسبحة وسماع القرآن يوم الجمعة ...والذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد ...وإلى المعبد اليهودي يوم السبت ..إلى الكذابين الوجهاء الظرفاء ..هؤلاء الذين يزنون بالوطن صبحاً ومساءً دون حياء ..ويأكلون أموال الفقراء ...) هنا الكاتب عرى المجتمع وطرح الزنا بصفة أنكفاء الاستعلاء بصيغة أهداء فأصاب الهدف بثقافته المعهودة عندما أشار إلى هؤلاء أنهم يفكرون بنزواتهم وشهواتهم لا بعقولهم فلم يتردد الكاتب ولن يتراجع عن رأيه ولقد أكد الكاتب الانكليزي (أنطوني ناتنغ) في كتابه (العرب) قال : (أن العرب قوم عاطفيون غير منطقيين إلى حد أنهم يفكرون بقلوبهم لا بعقولهم وهذا ما أكده الكاتب في كتاباته هنا ...ثم يليه الاهداء الاكثر أستغراباً وهو يقول : إلى

الكاتب الكبير أخي محمد حافظ رجب الذي كانت موهبته أكبر من حجم الوطن فعذبوه خصيان الأدب وتعذب بعبء حمله مصلوباً على الورق ..) بلاغة التعبير والكلام أضافة إلى نكران الذات وثقافة التفضيل للافضل المهمش ظلماً وقهراً فظل مصلوباً ..ثم يستهل سيرورة الرواية متتالية الاوراق والصفحات الواحدة تلو الاخرى منتقلا بين الام المتنبي وشبل بدران متوضئاً بكلمات السيد حافظ فاضح عشقه لمصر الأم والوطن والاب الحقيقي للمصرين فيقول : (حين لايتوضأ الحرف يدخل نار البوح فيفضح الكون فيغضب الرب) ما هذه البلاغة بالكلام والتعبير واللغة الراقية بالمعنى ويسرد الكاتب مشعاً بنور بلاغته اللغوية وهو يصف عشقه فيغرد لمصر : وعشقت مصر بصدق ..هنا أعلن صدق مشاعره لهؤلاء الذين زنوا بالوطن بعواطفهم النتنه ..ولكنه يلوم نفسه بأنه : ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة ..وأكتشفت أن ليس لي وطن غير الكتابة وكل ماحولي جنون ..حين غرد الطير فوق نافذتي تنبهت تعطرت تهيأت توضأت بنور موسم الكتابة الذي أتي لي ...بعد مايأس من عشقه أخذ الورق وطن له فيقول الكاتب المبدع : بين الورق والقلم والهمزة والياء أنفقت العمر هباء .....)) ويؤكد الكاتب أستسلامه لليأس أن النخبة ضالة مصابة بشلل ثقافي منعها من التفكر والتعقل والتدبير فيسأل نفسه

ويقول : (كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس) ...أختيار بارع في الكلمات والجمل راسماً بارعاً أبدع فيما سرد وأستطرد فيستهل روايته بالعلامات المستوحاة من القران الكريم مستخدمها نمط تمردي أستنباطي لحداثة مابعد الحداثة مستبدل تسمية الفصول بالعلامات وعددها بعدد أجزاء القرآن الكريم (٣٣) علامة أولها (وأكثرهم الفاسقون) ثم أستخدم الفواصل ب (٣٣) روح أولهما (وقال بعضهم الحب مأخوذ من القلق لان العرب تسمي القرط كما قال الراعي واقر : فسمى القرط حباً إما للزومه الأذن وإما لقلقه وأضطرابه) .. وأما الصفحة التي تلتها تحمل جزء من رواية غبار الخاطر وأيضًا أستعملها الكاتب كفواصل أبداعية تكونت من (٣٣) رواية عالمية وعربية ليبين لنا أن الابداع لاحدود له ولا تصده رياح بل هو علاقة بين المثير والاستجابة . بين الروح والعقل بين الواقع والخيال بين الافكار الجديدة المواكبة لزمن الحداثة ومابعد الحداثة وبين الافكار القديمة التقليدية للسرد وبين دمج الافكار الجديدة والاصيلة والمفيدة مع تفاعل الادراك الحسي واللفضي السمعي لينتج من هذا الاندماج أبداع ومبدع لرسالة أنسانية منقوشة بحروف وكلمات ولغة روح وذوق وأنسانية الكاتب المبدع . هذا ما أكده الدكتور (أحمد عامر) عندما وجهت له الاسئلة التالية حول الابداع ...

السؤال..هل الابداع تواضع أم غرور أم رسالة ؟ وهل يحق للكاتب أن يصاب بالغرور عندما يبدع ؟؟ أجاب مشكوراً بما يلي :

الاجابة تتطلب تعريفات إجرائية لكل ما سبق أولاً ..

فالمبدع متواضع بالقطع أمام تجربته الابداعية ومخاض كل عمل وغموض كل مسار ألخ والمبدع متعالي بالضرورة ومفارق لكل ماهو عادي وتقليدي ومبتذل وتافه وسطحي وهو ماقد يعتبره البعض غروراً وهو ليس كذلك ..فالمغرور تافه وهو مما يتعإلى عليه المبدع ..ولان المبدع كالنبي قله بالقطع رسالة تختلف من مبدع لآخر ومن عمل لآخر ومن مرحلة لأخرى في مسيرة الاديب والفنان والشاعر وكل البشر لكن هذه الرسالة هي ماتجعل المبدع وثيق الصلة بعالمه الانساني العام وعالمه الخاص والمحلي الاجتماعي لان رسالته موجهه للناس ولا مفر أمامه من معرفة الناس وفهمهم والاحساس بهمومهم وأفراحهم وهذا ماينفي عنه الغرور ويستبعد العزلة لكنه يستخدم لغتهم فنياً ولا كلياً إنما بمنهجه وأسلوبه لتحقيق هدفه وتأثيره لهذا يكون فنان وكاتب مبدع ....

أما الدكتور المهندس رافد نعيم الوداي :

قال : معظم الكتاب غير موهوبين وليس عندهم أي أبداع وهو أشبه بآلة الاستنساخ ..أما الكاتب الموهوب الذي أبدع في

كتاباته فقد وصل إلى الحقيقة واوصلها للجمهور أما بالنسبة للتواضع والغرور يرتبط بذات الشخص وتربيته والوسط الذي يعيش فيه أما الابداع فهو موهبة ربانية طورها صاحبها فظهرت بعلمه وفنه وكتاباته وعمله فمن خلال الابداع يحقق الرسالة ..

أما الدكتور حيدر مجيد كاظم فيقول :

غرور المبدع لايسمى غرور ولكن نرجسية ، وهي حالة احساس طبيعي لدى الفنان ، ولكنها متفاوته من حيث الدرجة ، فالنرجسية المبالغ بها غير مقبوله وتضر بمستقبل الفنان والكاتب والرسام والشاعر والاديب أما اذا كانت معتدلة فهي ضرورية لإتمام المسيرة الادبية وتطورها ونموها لدى الفنان...

أما الدكتور ماهر عبد الحسين أوجز أجابته بما يلي :

الإبداع رسالة، والغرور مسألة نفسية قد تصيب بعض الكتاب، لكنه ليس حق للكاتب... وبعد توضيح هذه الاراء واستعراضها هنا يكمن الجنس الابداعي للسرد وخبرة الكاتب الابداعية في صناعة الحبكة الدرامية وتوظيف الزمان والمكان والحدث ولغته التعبيرية السلسة القريبة للقارئ بالرغم من أستخدامه في بعض الهمسات والحوارات لاظهار البوح وراء سرد منفصل متصل بحوارات ثنائية واحياناً ذاتية فالكاتب هنا يمتلك

حضورا لامعاً في شخصية فتحي كأنه ساحرتموج ومضات عشقه نوراً وفكراً وأندفاعاً للخطيئة وذاتاً أبداعية تفتح مسارات للوعي والحرية والمكاشفة للواقع وتعرية المسكوت عنه بجماليات وتجليات الفضيلة ويمنح الكاتب سحر العذاب والجمال والخيانة والعشق والخير والشر والقهر والاستبداد لشخصيات الرواية (لو لم أعشقها) التي تنتمي إلى ملحمته السباعية ملحمة بصلابة صخور النيل وعذوبته وزقزقة العصافير للارواح السبع وشواطئ عشقه لسهر وحياة والزوجة تهاني التي شبهها بالقط الماو المصري الذي تميز بالذكاء والسرعة في التعلم والرشاقة والهدوء وأجاد التشبيه فالانسان كائن حي كسائر الكائنات تتشابه وتختلف بتجاذب كيميائي وتنافر فيزيائي هكذا كان أبن رضوان يكذب ويكذب مضطرا من أجل عشق طائر البطريق للغزالتين سهر وحياة ضحكت المرأتان جلجلت جدران الكافتيريا ..

النساء الجميلات حين تتلاقى لايتحدثن عن قدرتهن لركوع الرجال أمامهن أو البكاء بين كفوفهن أو مواهبهن في معاقبة الرجال وجعلهم يرفعون اياديهم على الحائط تذنيباً وتعذيبًا...

(وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس) وبعد كل لقاء مؤرق بجمرات عشق سهر وهمسات الجنون وأندفاعات الرغبة وخلاعة الفضيلة الصادمة والخطيئة الاثمة

يذكرنا الكاتب بالاية (وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) فهل ذاكرة الجسد وخيانة الوطن سواء يظل أثارهما باقياً على صفحات خجل التاريخ وأوتار عشق الوطن يتقلب فتحي في السرير ..أكتشفت ان الظهر مر من فوق سقف بيتي ومرت الشمس من على نافذتي ولم تخبرني بشئ ما عن ملاك سيئاتي وذنوبي واخطائي أن مجرد أنذاري يكون ثواباً.

ترى كم من الناس اتصل بي ؟

هل الكتاب أنبياء وعي ؟

هل الوعي مكتسب أم فطري ؟

هل العقول العربية جيناتها ضعيفة ؟

وأكثرهم عاجزون

تستمر أيقاعات وهج السرد حيث تجاوز الكاتب واشتبك بحرارة مع الحقائق والواقع الثقافي المسرطن بالفساد والشواذ والجمود والجموح ليصبح امام وجود من يمتلك شرعية انتمائه للفن والادب للمسرح والرواية ففي هذا السياق السيد حافظ يخبرنا الحقيقة فيقول :

أنا من يستقبلني غالبية المثقفين بالاحضان وكلمات المديح ملك الحروف وسيد المسرح ومجدد الرواية وفي اللجان المخصصة للجوائز تتكالب الخصيان ويطعنون تأريخي

وينشرون لحمي ويمنعون الماعون .. ثم يلاقونني فينحنون بالسلام ... (وأكثرهم عاجزون)
فالابداع حرية دون السقوط في هوة المصنوع سلفاً متميز من حيث نضجه الثقافي الفلسفي مجتاحاً متمرداً مجدداً للكتابة واضعاً بصمته التي ليس لها ثاني ولا شبيه باحثاً عن أنتهاج بنية وهيكلية سرد مميز محترف شامخ بهوية حافظية وصيرورة تقنيات روائية تبدو كلوحة اسطورية أختلط فيها الذات مع الموضوع والخاص مع العام وأنشطرت فيها الشخصيات وتحولت إلى ايقاعات ونغمات ورؤى وملاحم تشابكت بشدة التكثيف والدلالة مع واقعنا المتشيطن بلحظات الاثارة لاحلال السقوط والانكسار فاسقط اقنعة الزيف فنحن أمام نص روائي متميز بالتنوع والثراء فلم يعد بؤرة محددة بل هو شكل نمو عبر اختلاف الرؤى وتعدد الانماط وتحول جذري من سلطة المطلق والمجرد والواقع والمحاكاة إلى خصوصيات الذات والتفاصيل وايقاعات الحس والمشاعر والعلاقات الحميمية ياالهي هكذا فعلت سهر حينما اخذتني في السيارة كان تحت الثوب الفراغ كل الجسج ممشوقاًعارياً ..هكذا تفعل شهوة الجسد بالنساء عندما تقابل رجلاً تحبه للقاء جنسي تنزع ملابسها وترتدي عليه فستان او بالطو او جيبه او جنس ..هكذا تفعل كل نساء العالم ..

وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء
قيل ادخل الجنة قلت ياليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين)...

ويستمر الكاتب في لمساته الابداعيه الصاخبة ... وسيرورة الرواية وفق منهج مبرمج لكاتب لم يسبق له الاستسلام أمام التيارات الادبية المألوفة وغير المألوفة التي تصدى لها بلغة جمالية جديدة رغم سهام التجريح ألا أنه أستمر كاتبنا مشاكساً شرساً بنصوصه وأبداعه متواضعاً بأنسانيته هذا ماأكده الكاتب في كتاباته.أذاً مما تقدم يبرز دور الإديب المثقف المؤمن المتحلي الداعم للقيم والتقاليدوالعادات الجميلة والحيوية والمغيروالرافض والمنتفر من التقاليد والعادات السيئة والمتعثرة والمعرقلة لمسيرة الابداع ولتطور وخلق وبناء جيل خالي من الاضطرابات متحلي بالصدق والتواضع والتسامح متحمل المسؤولية قابل للتضحية من أجل ثقافته ومجتمعه وتراثه . فكل مثقف وأديب وشاعر وكاتب وقاص ورسام وناقد وكافة أبناء المجتمع المثقفين وخاصة الإدباء لو حاولوا جميعاً صفاً واحداً في بناء الواقع الثقافي للمجتمع العربي ثقافياً لما أصابتنا خيبة الإمل والفشل لكن للاسف الكثير وليس القلة من الإدباء يصيبهم الغرور بعد أن أتيحت لهم فرص الحكم والأثراء والإستمتاع بتهميش الإفضل منهم

لإسباب ورواسب قد تكون نفسية أو أجتماعية فيستبيح لنفسه بعد مأأخذ من ثقافته الهشة وخبرته المتسكعة منتقداً وحاكماً مستتراً بقالب المبادئ الديمقراطية مع علمه يقينياً أنه أديب غير ناضج ثقافياً بل تقمص الثقافة بمعرفته لبعض المصطلحات وحفظها من هنا وهناك دون السعي للقراءة وثقافة الذات فاذا كان هذا هو مستوى بعض الادباء وهي الحقيقة المخجلة فأذاً نحن مجتمع بقمة التخلف والإنحدار الثقافي فعلينا تقع مسؤولية التغير لاأعني هنا تغير هيكل المجتمع بل بناء الجيل وخاصة البناء النفسي ...

هنا سؤال يطرح نفسه . (هل الأديب مسئول)؟

الإجابة نعم مسوؤلاً مادام الاديب كاتباً وشاعاً وقاصاً وناقداً ووووو.الخ ..لان الادباء من المجتمع وينتمون إلى بيئة وهناك أحتمالين الاول أنتمائه إلى بيئة صالحة والثاني ينتمي إلى بيئة فاسدة فلذلك يظهر الفاسد والمصلح المتواضع والمتكبر لذلك علينا أن نعود إلى أنفسنا أولاً كما أشار الله في كتابه الحكيم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).. فالثقافة تنبع من الذات الانسانية ولا يغرس فيها من الخارج. ويعني ذلك أن الثقافة تتفق مع الفطرة وإن مايخالف الفطرة يجب تهذيبه . فالامر ليس مرده أن يحمل الإنسان قيماً تنعت بالثقافة ، بل مرده أن يتفق مضمون هذه القيم مع الفطرة .

(٦) وهنا وجي علينا التنويه إلى عام ١٩٤٨ عام النكسات والخيبات ودور الاستعمار الغربي في افشاء الفساد الثقافي والبيئي لكن قتئذ ظهر العلماء والمفكرين والمصلحين والمناضلين والمثقفين العرب رغم الإنهيار والفساد وتعشش القيم الفاسدة المدسوسة من الاسعمار الغربي ففشلت محاولاتهم ولم تكتمل بذرة الفساد بالنمو وأصطدام التيارات بالبيئة الصالحة من المجتمع العربي فأصبحوا عناصر تصدي ونجاح فنمى منهم وظهر جيل السبعينات ومنهم المتمرد الثوري المثقف الكاتب الروائي السيد حافظ بماضيه السياسي الوطني القومي العروبي المسيطر على ذاته وامانيه في تطهير الواقع الثقافي وأصلاحه أدبياً وفنياً وعدم تمزيق وأنحلال الموؤسسات الثقافية والاهتمام بالادباء الشباب الذين سلعبون دوراً مهماً في بناء المجتمع العربي الجديد

يقول السيد حافظ : (قلت لها أخلعي نعليك عند القراءة لي وتعطري ...) وقول أخر

يقول السيد حافظ : (أنا مدن ولست مدينه ..أنا أنسف كل القواعد القديمة ، وأبشر بجيل جديد يأتي ، جيل يكتب مالم نكتبه نحن ، أنا أفجر الجنون والعظمة،...) (٣) من يقرأ هذه الجمل يحكم على الكاتب حكم تعسفي لكن من يتمعن بالكلمات وتواصلها وصيرورتها والزمان والمكان يلاحظ أنها حاضرية

ومستقبلية ثم يسترسل الحديث ليؤكد لنا سيرورة عظمة الاداء أي النص والابداع مع التواضع ...

فيقول السيد حافظ : أنا أفجر فيهم الجنون والعظمة ، العظمة المتواضعة أمام الحرف .. ويأمر الجيل المجنون والقراء أن يتوضأ الكاتب بنور الكلمة أن يصلي ليس بالسجود فقط ولكن بروحه أمام العبارة ... وهذا ما يفعله الكاتب السيد حافظ عند شروعه بالكتابة يباشر بطقوسه الكتابية فيطلق البخور ويستمع لقراءة القرآن عبر التلفاز .. هنا وجب علينا أن نستهل بحثنا أو دراستنا المتواضعة بمعرفة معنى التواضع (لغةً وأصطلاحًا)

١ - معنى التواضع لغةً : التواضع يعني التذلل ، يقال : وضع فلان نفسه وضعاً ، ووضوعاًبالضم ، وضعةً ، بالفتح : أي أذلها. وتواضع الرجل : إذا تذلل ، وقيل : ذل وتخاشع ...

٢ - معنى التواضع أصطلاحاً : التواضع هو (ترك الرؤس، أظهار الخمول ، كراهية التعظيم ، الزيادة في الإكرام وأن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل ، والمفاخرة بالجاه والمال ، وأن يتحرز من الإعجاب والكبر) . وقيل هو : (رضا الإنسان بمنزلة دون مايستحقه فضله ومنزلته . وهو وسط بين الكبر والضعة ، فالضعة : وضع الإنسان نفسه مكاناً يزري به بتضييع حقه . والكبر : رفع نفسه فوق قدره) .

وقيل هو : إضهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه ، وقيل : هو تعظيم من فوقه فضله) ...(٤) ..
أما تعريف التواضع في معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي .
١ – تواضع / (فعل)
تواضع / تواضع على يتواضع ، تواضعاً ، فهو متواضع ، والمفعول متواضع عليه تواضع العبد : تخاشع، تذلل ،عكسه تكبر من تواضع لله رفعه (حديث)
تواضع القوم على الأمر : اتفقوا عليه تواضع أهل اللغة على استعمال رموز لأداء أصوات معينة .
تواضعت الأرض : انخفضت
تواضع ما بين القوم : بعد
٢ – تواضع (اسم)
مصدر تواضع ، عرف بتواضه الجم : إظهار الحشمة وعدم التكبر والتعظيم
مصدر تواضع / تواضع على ، أخجلتم تواضعنا: أفضتم في الثناء حتى استحى قدرنا من مديحكم
تواضع : (أسم) ، تواضع : مصدر تواضع
٤ – متواضع (أسم) فاعل من تواضع / رجل متواضع : غير متكبر ، غير متعجرف ...وهذا مارغبت أن أصل له لأبين

معنى المتواضع أما المعاني والاستخدامات الاخرى(للفعل وضع وللاسم تواضع) فالمعاجم كثر والمعاني أكثر وأكثر ....
أما التواضع كخلق في الأسلام فهو صفة محمودة وسبيل لنيل رضا الله ولقد جعله الله سنة جارية في خلقه أذ آمر الله سبحانه وتعإلى أن يرفع المتواضعين وأن يذل المتجبرين والمتكبرين فقال الله عز وجل (فبئس مثوى المتكبرين) من سورة الزمر الآية (٧٢)
كما قلنا وذكرنا سلفاً أن التواضع في اللغة هو التذلل أما التواضع عند علماء الأخلاق هو (لين الجانب والبعد عن الاغترار بالنفس ..
أما التواضع في القرآن الكريم : فلم ترد كلمة التواضع بلفظها إنما وردت كلمات تشير إليها وتدل عليها ..
قال الله تعإلى : (وعباد الرحمن الذين يمشون هوناً) (سورة الفرقان الآية ٦٣) أذ قال القرطبي (هوناً) الهون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار .. أما في التفسير يمشون على الأرض حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد ..أما ابن كثير قال : سكينة ووقار من غير تجبر ولا أستكبار ..(مصدر طريق الأسلام)

والتواضع من خلق الرسل والانبياء /هذا ماقرأنا وعرفناه عن رسول الله (محمد) صلى الله عليه وسلم تواضعه في بيته ومع زوجاته ففي صحيح الأدب المفرد (٤٢٠)

قالت السيدة عائشة رض الله عنها : ((ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في بيته ؟ قالت : (كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويخلب شاته) وكان يدخل السرور إلى قلوب زوجاته أمهات المؤمنين ما وجد إلى ذلك سبيلا وكان عليه الصلاة والسلام يكرمهن وينزلهن مكانتهن .. وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التواضع وحث عليه بقوله:

" إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد " (السلسلة الصحيحة (٥٧٠) ...

د. نجاة صادق الجشعمى

تقديم مقالات الباحثات

د. محمد زعيتري
أستاذ الآداب العالمية والسايكودراما
جامعة محمّد بوضياف - المسيلة - الجزائر

تتناول الباحثات فكرة الحبّ المقدّس و الحبّ المدنّس من زوايا رؤى مختلفة متجاوزات حدود الفلسفة الدوسوسيرية ، لينتقلنَ بالمفاهيم إلى عالم السايكولوجيا حيث شرحنَ و فسّرنَ الصور المتراكمة في رواية " لو لم اعشقها" للسيد حافظ تفسيرات تخالج النفس البشرية لحظة التلقي ، و هنّ بهذا يسعين الى الثورة على محدودية فهم المناهج المستوردة وضيق تطبيق نظريات النقد المتعصبة لغرابيل أوروبية بعيدة عن الذائقة العربية في ظلّ انفتاق الصورة و لا مركزية المفهوم الثنائي للدال والمدلول .

فالباحثات ولَجْنَ عالم هذه الرواية بسلاح القراءة الحداثية متعددة التأويلات باعتبار النص كائنا تفاعليا يبث شيفراته ضمن مجموعة من الرموز تُفسّر آنيا وفق استعدادات نفسية و فكرية تواكب زمن القراءة ؛ بعيدا عن اجترار المعاني في قوالبها الجامدة.

فالعشق لفظ لغوي له شروحاته المعجمية ، أما كمصطلح داخل الرواية؛ فهو كائن يتمظهر حسب تطور فصولها و هندسة حبكتها الفنية؛ فجاءت النقود مختلفة باختلاف المرجعية المعرفية واختلاف الميكانيزم ؛ محترمة في الوقت ذاته التوليفة الإبداعية للعمل بلمسة احترافية لا تقوّض المبنى ؛ بل ترصّعه باكسسوارات تلائم الموقف و الحدث و تصقل الفكرة في منأى عن مغالطات القراءات السطحية.

د. محمد زعيتري

الغواية وعتبات النص
قراءة في رواية "لولم أعشقها " للأستاذ : السيد حافظ
بقلمى د. نجلاء نصير



يقول جيرا جينت: " يقول : " ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح أكثر من أي عنصر آخر للنص الموازي بعض القضايا، و يتطلب مجهودًا في التحليل، لأن العنوان ، كما نعرفه منذ النهضة هو في الغالب مجموعة شبه مركبة، أكثر من كونها عنصرًا حقيقيًا، وذات تركيبة لا تمس بالضبط طولها"(١)

فالعنوان يعد العتبة الأولى التي تقع عليها عين المتلقي ومن لا يحسن قرع العتبات لا يمكنه الولوج للنص وسبر أغواره فالعنوان يعد "مصطلحًا إجرائيًا ناجحًا في مقاربة النص الأدبي ، ومفتاحًا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها(٢)

مما لاشك فيه أن البنيويين قد أحدثوا نقلة في الادب الحديث وقد أولى علم النص والعلامات (السيمائية) اهتماما بالعتبات ومنها العنوان الذي يعد مدخلا هاما للنص " فهو ليس عبارة منقطعة أوإشارة مكتفية بذاتها، بل هو دائما مفتاح تأويلي،

أساسي لفك مغاليق النص و عندئذ، حين يحسن المتلقي استعماله، تتلألأ أمام عينيه كنوزالقصة ونفائسها، و تنبسط تحت قدميه في طواعية أرضها الملأى بالأسرار" (٣)

وجدير بالذكر أن جيرار جينت قد تساءل عن مجموع العناصر التي تجعل من النص كتابًا ،أي تلك العناصر التي تساعد النص وتصاحبه في رحلة اكتساب الحضور والهوية الثقافية النوعية "(٤)

فعنوان الرواية "لو لم أعشقها "

لو:شرطية تدل على امتناع الجواب لا متناع الشرط ،لو : حرف جزم يفيد النفي ويحول زمن الفعل من المضارع إلى الماضي ،أعشقها :فعل ماض ،الهاء ضمير غائب متصل في محل نصب مضاف إليه

فالمبدع يخاتل المتلقي بالعنوان فمن هذه الأنثى التي تمنى ألا يعشقها ؟

وهل العشق يقع على امرأة أم ربما تكون المرأة هنا دلالتها رمزية وتمثل الوطن .

وجدير بالذكر أن جيرار جينت قد ضمن العنوان في فضاء النص الموازي أو ما يعرف " بالمناص في حديثه عن أنماط التعالي النصي وصنفه في النمط الثاني وهو المناص PARATÉXTE يتكون من علاقة هي عمومًا أقل وضوحًا وأكثر

بعدًا ويقيمها النص في العنوان ،العنوان الصغير ،العناوين المشتركة، المدخل ، الملحق ...وأنواع أخرى من الإشارات الكمالية أو غيرها ،التي توفر للنص وسطًا متنوعًا وفي بعض الأحيان شرحًا رسميًا أو شبه رسمي ..."(٥)

وقد قسم جيرار جينت الموازيات النصية إلى نوعين من النصوص :" نص فوقي وآخر محيطي ويهمنا في دراستنا للرواية ما أورده جينت عن النص المحيطي والذي يضم كل ما يتعلق بالنص وينشر معه في "زواياه مثل عنوانات الفصول وما يوجد داخل الكتاب ،وقسمه جينت إلى قسمين هما :النص المحيطي النشري ويندرج تحته الغلاف ،التجليد ،كلمة الناشر وغيرها من المعلومات المتعلقة بالنشر ،والنص المحيطي التأليفي ويضم اسم الكاتب ،العنوان ،العنوان الفرعي ،العناوين الداخلية ، الاستهلال ، التمهيد ،الإهداء ، الهوامش وغيرها مما له علاقة بالمتن ولا ينفصل عن الكتاب "(٦)

فللعنوان أهمية كبيرة في عملية التلقي وذلك لأن عين المتلقي "ستصب أول ما تنصب على العنوان "(٧)

فالمحيط النشري :

يتمثل في الغلاف الذي جاء باللون السيمون الذي يصنف من فئة الألوان الدافئة التي تبعث في النفس الراحة والهدوء ولوحة الغلاف للفنانة الكويتية منى الغربللي لامرأة فاتنة

تتماهى صورتها مع البناء الخارجي لبطلة الرواية سهر ،وتبدو للمتلقي عارية مما يدل على الغواية وأسباب ومقدمات العشق ويعلو اللوحة اسم الكاتب باللون الأبيض ويحد اللوحة العنوان باللون الأبيض بفونت كبير لجذب عين المتلقي ومذيل بجملة العلامة السابعة والأخيرة في إشارة لمحاكاة الدفة الثانية والتي تحمل أغلفة السباعية ، والرواية نشر مركز الوطن العربي رؤيا ٢٠١٩م

المحيط التأليفي :

الإهداء: "إلى هؤلاء الزناة ..الزنا بالعين والكلام والفكر و اللمس .."(٨)

فالإهداءيرسل للمتلقي بإشارة لاذعة أنه أمام نص أدبي سيناقش المسكوت عنه ويكشف ورقة التوت عن النفاق الاجتماعي والازدواجية التي يمارسها البعض والصراع بين ثنائيات ضدية المرأة والرجل ، الصدق والكذب ، الحلال والحرام ، الاستقامة والانحراف والمعاصي والتوبة ، الانتماء والهوية والخيانة ، المقدس والمدنس .

الإهداء الثاني :"إلى الكاتب الكبير محمد حافظ رجب الذي كان موهبة كبيرة بحجم الوطن فعذبوه خصيان الأدب وتعذب بعبء حمله مصلوبًا على الورق..."(٩)

فالإهداء الثاني بمثابة صرخة في وجه أشباه الأدباء الذين حاربوا الكاتب الكبير محمد حافظ رجب المجدد الذي هاجمه أقزام النقاد والأدباء .

الاستهلال : تناص مباشر

بيت شعر من قصيدة رثاء لأبي الحسن التهامي

طبعت على كدروأنت تريدها   صفوًا من الأقذاءوالأكدار

فالحياة لا تكترث لما تصبو له النفس البشرية وتجري كما تشاء وقد أورده المبدع سهوا للمتنبي

طبعت على كدروأنت تريدها   صفوًا من الآلام والأحزان(١٠)

ويتجلى التناص المباشر أيضًا في قول شبل بدران : "الخير والشر ليس إلا نوعين من الخير "(١١)

فالحياة قائمة على الثنائية الضدية التي تعد المعادل الموضوعي للصراع في الحياة

ثم تأتي كلمة المبدع "حين لا يتوضأ الحرف يدخل نار البوح فيفضح الكون ..."(١٢)

في كلمة المبدع يعترف أن وطنه الكتابة وأنه عشق مصر ولكنه لم يعرف أن عشقها خطيئة فالوقوف في وجه الفساد خطيئة يدفع ثمنها من يحاربه ،كما تظهر في كلماته الغصة والحسرة في الألفاظ " خطيئة ، جنون ، أنفقت العمر هباء "

فالكاتب يحمل هم وطنه ولكن للغربة حسابات أخرى فهل كان يعاني من الغربة المكانية أم الغربة الزمانية أم كان حبيس الغربيتن ومما يدل على ذلك قول الكاتب : "كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس ؟" (١٣)

فهذا السؤال الاستنكاري يحمل في طياته رمزية القلق النفسي وعدم الشعور بالأمان .

عتبات الفصول أو العلامات كما أطلق عليها المبدع فقد جاءت الرواية في ثلاثين علامة تماهيًا مع أجزاء القرآن الكريم وكل علامة تتماهى مع القرآن الكريم في تناص مباشر فالعلامة الأولى "وأكثرهم فاسقون " (١٤) ليس هذا فحسب بل نجده يذيل الفصول بآية من آيات الذكر الحكيم

وحين نأتي إلى عتبة روح يضع

امام المتلقي تعريفًا للحب وقال بعضهم الحب مأخوذ من القلق لأن العرب تسمي القرط كما قال الراعي واقر ..."(١٥)

تناص مباشر من كتاب روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم الجوزية باب اشتقاق الأسماء ومعانيها

كما نجد الرواية تتسم بالمشهدية فكل فصل عبارة عن مشهد أو مشهدين من مكانين مختلفين ،كما يفتتح المبدع كل فصل بالمكان والزمان وكأننا أمام سيناريو ، فالفصل الأول حوار

بين سهر وحياة فهما يتقاسمان عشق رجل واحد هو فتحي رضوان بطل الرواية

وقد وصفهما المبدع بقوله "هكذا تواعدتا المرأتان ..ساحرة جمال من الشام وساحرة جمال من العراق للنقاش حول أهمية من تتنازل للأخرى عن عشق فتحي رضوان .."(١٦)

فقد بدأ المبدع روايته بمفاوضات بين الغريميتين على البطل فتحي رضوان الصحفي فسهر البطلة المتزوجة من منقذ الشامي وأم لطفل صغير ، وحياة السيدة التي تعمل كصحفية وزميلة فتحي في الجريدة من العراق وكل منهما وقعت في شرك كبيرة الزنا

فتحي رضوان : الصحفي المصري الذي جاء إلى دبي حاملأ أحلامه وطموحه بين جناحيه وأتقن لعبة الكتابة ولعبة خيانة زوجته تهاني المصرية وأم ابنه .

وفي حوار جاء على لسان فتحي رضوان الذي يلعب دور السارد العليم حين تجسد ضميره كرجل يدق جرس الباب بينما كان يجلس على مكتبه ويكتب مقاله المعنون "مشروع الهوية والثقافة " فحين فتح الباب "وجدتً أمامي نورا شديدا ينبعث من رجل اختفت ملامحه في الضوء "(١٧)

وفي منولوج داخلي يناقش فتحي رضوان عدة اختيارات هل يكتب استقالته ويفر من العشق ، هل يعود إلى مصر ويطرح

قضية اجتماعية هامة وهي فضول البشر في المجتمعات العربية يقول :"مجنون أنت من غير الممكن أن تهجر دبي إلى مصر وتعود مرة أخرى إلى العذاب ..سيقولون عنك فاشل وعاد من الخليج مفلسًا أخذت أكتب المقال حصاد المهاجر المصريون يراقبون بعضهم بعضًا سواء في مصر أو خارجها ...."(١٨)

كما يسرد الحروب الأيدولوجية التي نشأت في المجتمع المصري يقول :"حروب مصر كانت حروب الأيدلوجية الدينية ، فالدين هو المحرك الأساسي في تحريك الشعب وهياج الجماهير ..."(١٩)

كما يلقي الضوء على التغيرات التي أصابت المجتمع المصري وشوهت الذوق العام بمصر يقول :

"نحن في زمن مضطرب مجنون ..اللهم نجنا من الجهلاء ..أتعود إلى مصر التي تعشق التفاهة الآن بعد أن كانت تعشق أغاني أم كلثوم أ؟ أما الآن الأغاني والأفلام ركيكة ...."(٢٠)

وأنهى العلامة الأولى بقول الله عز وجل" ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١)"(٢١)

فعتبات الرواية تحمل رمزية تتماهى مع الرسالة التي يريد الكاتب ان يرسلها للمتلقي فالعنوان أولاه ليوهوك (LEO HOEK)

الذي يعد من أشهر المؤسسين المعاصرين لنظرية العنونة من خلال كتابه "سمة العنوان " الذي حدد فيه تقنيات مفهوم العنوان ومعالمه التحليلية.

ويرى ليوهوك أن "العناوين التي نستعملها اليوم ليست هب العناوين التي استعملت في الحقبة الكلاسيكية ،فقد أصبحت العناوين موضوعًا صناعيًا ، لها وفقع بالغ في تلقي كل من القاريء والجمهور والنقد والمكتبيين "(٢٢)

فالعنوان "علامة لغوية ،تتموقع في واجهة النص ،لتؤدي مجموعة وظائف تخص أنطولوجية النص ومحتواه ،وتداوليته في إطار سوسيو ثقافي خاصًا بالمكتوب "(٢٣)

فوقع الآية الكريمة على المتلقي يجعله يدرك أنه أمام وجبة دسمة من الفساد والفسق البشري الذي يعد نتيجة لمقدمة اقترفها البشر .

استعرض الكاتب ثلاثين علامة وكل علامة معنونة أو عتبتها آية من آيات الذكر الحكيم ،كما يختم كل فصل بآية أو أكثروبعمل إحصاء للعتبات نجد أن المبدع تخير من القرآن الكريم أربعة عشر آية ورد ت فيها بصيغة التفضيل (أكثر) بينما استخدم صيغة التفضيل أكثر في عشرين عتبة من عتبات الرواية :

رقم العلامة	الآية	السورةورقم الآية	النتائج
الأولى	"وأكثرهم الفاسقون"	آل عمران : ١١٠	
الثانية	"وأكثرهم لا يعقلون"	الحجرات : ٤	
الثالثة	"وأكثرهم الكافرون"	النحل : ٨٣	
الرابعة	"وأكثرهم للحق كارهون	الزخرف٧٨	
الخامسة	"وأكثرهم كاذبون"	الشعراء :٢٢٣	
السادسة	"أكثرهم لا يعلمون"	يونس: ٥٥	
السابعة	"أكثرهم لا يؤمنون"	البقرة :١٠٠	
التاسعة	"أكثرهم لا يشكرون"	النمل : ٧٣	
العاشرة	"وما كان أكثرهم مؤمنين"	الشعراء :٦٧	
الحادية عشرة "وأكثرهم مشركون"	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ"	سورة يوسف : ١٠٦	
الثانية عشرة	"وماكانوا يبصرون"	هود : ٢٠	
الثالثة عشر	"هم في غمرة ساهون"	الذاريات :١١	
الرابعة عشر "هؤلاء الضالون"	تناص قرآنى "وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ"	المطففين :٣٢	
الخامسة عشر "وأكثرهم معرضون"			
السادسة عشر وأكثرهم مستضعفون			
السابعة عشر وأكثرهم عاجزون"			
الثامنة عشر "فهم لا يسمعون	أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ	الأعراف :١٠٠	
التاسعة عشر	"فأولئك هم الظالمون"	المائدة : ٤٥	
العشرون	"لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ"	الشعراء:١١٦	
الحادية والعشرون	إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ	غافر :٥٩	
الثانية والعشرون	وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ	الزمر ٣٩	
الثالثة والعشرون أولئك هم الغافلون	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ	الأعراف:١٧٩	

	أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ		
الرابعة والعشرون	وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	البقرة :٣٩	
الخامسة والعشرون :"وربك أعلم بالمخلصين "			
السادسة والعشرون	إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ	الحجر :٤	
السابعة والعشرون أكثرهم لا يعلمون	أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ	البقرة : ١٣	
الثامنة والعشرون أكثرهم مغترون			
التاسعة والعشرون وأكثرهم عاجزون			
الثلاثون	لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ	الأنعام : ١١١	

من الجدول السابق نجد أن :

التناص القرآني بصيغة التفضيل (أكثر) ورد في عتبات الرواية بنسبة

١٤×١٠٠ / ٣٠×١٠٠ = ٤٦,٦

بينما احتلت صيغة التفضيل "أكثر" ثلثي عتبات الرواية بنسبة

٢٠×١٠٠ / "٣٠×١٠٠ = ٦٠%

وجديربالذكر أن العتبات لعبت بجانب التناص دورًا رمزيًا فأكثر العتبات غلب عليها : "الفسق والضلال وفساد العقل

والكفر والجهل والجحود والغفلة والغرور والعجز والجهل " وكل هذه الصفات تبعث على الغواية التي كان يمارسها أبطال الرواية ففتحي رضوان يمارس الخيانة مع كل من سهر زوجة صديقه منقذ الصحفي ،وزميلته الصحفية "حياة " رغم أن الله وهبه زوجة محبة "تهاني " التي تتفانى من أجل إسعاده هو وابنهما .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن لماذا استسلم فتحي رضوان لشهواته وسخر جسده عبدًا لها

يقول الرواي العليم فتحي رضوان مبررًا أفعاله : "إن دخولي في اللحظات العاطفية والإستغراق مع علاقة نسائية هو مجرد محاولة للهروب من الضغط اليومي ومواجهة نفسي أني فشلت في النهوض بالمجتمع نعم فشلت في لإيقاظ الوعي الجمعي أو الفردي ..."(٢٤)

ففتحي رضوان يسقط أفعاله على المجتمع والوطن الذي انتقد إعلامه حين أخبر المتلقي أنه يقرأ الجرائد العربية في الحمام "وهو المكان الذي يليق بها لكثرة الغث والكذب والزيف والتدليس ...وجدت في الصفحة الأخيرة في العمود الأخير كتب خبر بخط صغير (وجد الوطن ميتًا في ضاحية المدينة حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه وقطع لسانه ونشرت أصابعه "(٢٥)

فلم يكن الوطن فقط الضحية بل " وجدتُ كل الناس تسير مقطوعة الآذان .. بل عميان وكتب بالسحب على السماء (الله ترك هذا الوطن لأنه زان).."(٢٦)

فالرمزية تتجلى في: مشهد سير الناس مقطوعي الآذان وعميان ، فالسلبية جعلت الناس لا يكترثون لنكبات الوطن ،ليس ذلك فحسب بل الله تخلى عن الوطن لأنه زان وإذا كان الوطن يزني فلماذا لا يجد فتحي رضوان مبررًا لأفعاله وممارسته الزنا مع النساء اللاتي يرى "بعضهن بناء وبعض النساء هلاك وكل النساء نجوم في السماء بعضهن تضيء وبعضهن باردات ومظلمات ومعتمات وعنيدات "(٢٧)

كما يبرر سر معاشرته للنساء "ربما لسبب مهم هو أني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لا تراه الناس في وجهي عندي اكتئاب شديد وعميق من الوطن .."(٢٨)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل فتحي رضوان نموذج للإنسان الذي يعاني من تشظي الذات والهوية جراء صدمته في وطنه ؟

أم أنه نموذج للإنسان المكافح الموهوب الذي حاول أن يشق طريقه في وطنه فحاربه أنصاف المواهب ولم يقتص له الوطن منهم ؟

هل يعاني فتحي محمود من ازدواجية ويقاتل ثنائية ضدية ويفع بين سندان لفضيلة ومطرقة الرزيلة التي أدمنها وهو يدرك أن عاقبتها النار ؟

هل صورة المرأة في الرواية متمثلة في كل من سهر وحياة وتهاني وشهرزاد وليزا ومارينا هي المعادل الموضوعي للازدواجية والنقاق المجتمعي ؟

فسيمائية الأسماء في الرواية تتجلى في توفيق المبدع في اختيارها ففتحي وزوجته تهاني السيدة المصرية الحنونة التي تعلم بخيانة زوجها وتصبر وتحتسب لعله يرجع لرشده على أمل أن يأتي إليها يومًا معتذرًا فقد تدعى تهاني : وهو اسم علم مؤنث عربي ،وهو جمع تهنئة والتهاني تبادل التبريكات والأفراح والمشاركة بسعادة الآخرين ولكنها لم تكن تشعر بالأمان أو السعادة مع فتحي الذي كان يكني نفسه بابن رضوان في المنولوج الداخلي ولا يشعر بالرضى عن نفسه ،فتهاني كانت المرأة الوحيدة في الرواية التي تشبه الوطن في تحمله لجحود وسلبية وتنكر أولاده له أحيانًا فتهاني متفردة في حفاظها على الرباط المقدس ولم تجر إلى الرذيلة كسهر وحياة وليزا ومارينا .

المرأة الجميلة المعجونة بالياسمين "(٢٩) والتي تخونه مع صديقه فتحي ، وشداد رجل المال والأعمال وصاحب المدرسة التي ستعمل بها من خلال أستاذها كاظم الشامي فسهر مادية تعشق المال ولذلك وقعت في مصيدة شداد بعد أن وظفها براتب كبير وأهداها الخاتم الألماظ والسيارة ، ولكنه لم ينتظر الثمن بل قنص فريسته بعد أن أثملها بمكتبه
"اتفضلي في صحتك ،عندما أفاقت وجدت نفسها عارية في أحضان شداد ..."(٣٠)
فكما مارست سهر الرذيلة وقع منقذ أثناء سفرها في نفس الشرك وزنا بالخادمة مارينا ، بل تعلق بها بعد أن أغرته ومارست معه كل فنون الغواية حتى استجاب لها وأدمن علاقته بها ورغم أن سهر حين عادت من الجبل ارتدت إيشارب وملابس محتشمة إلا أنها عادت لعلاقتها بشداد الذي بنى لها فيلا ضخمة بقريتها

حياة العراقية

الصحفية تشبه فتحي كثيرًا فهي امرأة لها نزواتها الخاصة فهي تستدعي فتحي في أي وقت وتنهي اللقاء دون وداع فحياة تتمتع بشخصية قوية ولذلك استطاعت أن تستقطب فتحي نحوها رغم علمها بعلاقته بسهر .

كاظم وزوجته وردة

كاظم يخون زوجته وردة مع ليزا الفرنسية ،معلمة القسم الأمريكي بالمدرسة ،وردة أم ابنته

كاظم مثل فتحي وقع في الرذيلة لكن زوجته كتهاني زوجة فتحي.

شداد

رجل المال والأعمال صاحب المدرسة ومعرض السيارات "فشداد يأكل أموال كل الناس فقراء أو أغنياء ويشتهي كل النساء مطلقات ،أرامل ، صغيرات ..."(٣١)

راغب

أخو وردة أتى من فنزويلا ليستثمر مع شداد وقد قتل قاسم زوج حبيبته زهرة بالشام "ذنب زهرة أنها جميلة ومصيبتها أنك جريت وراها ..أنت لا تحب أنت قتلت قاسم زوجها ودفنته فساعة الجريمة هي ساعة الزنا "(٣٢)

حامد الصقر وزوجته شهرزاد

يعمل حامد مع شداد وزوجته لم يرزقا بأبناء فهما أبناء عمومة وهناك شائعة في الجبل تقول إن شهرزاد ساحرة سحرت لحامد وتزوجته تستقبل سهر في بيتها وتقدم لها النصح والإرشاد لكن سهر لا تسمع لنصائحها حتى تقع في شرك شداد.

فالغواية تمثلت في العلاقات المشبوهة بين بطلي الرواية الرئيسيين "فتحي رضوان وسهر " والشخصيات الثانوية التي لعبت دورًا في تحريك مسار الأحداث ولكن فتحي الذي تنازعه صوفيته انتهى به الأمر بعد فصله من الجريدة وعودته لبيت أمه أن اختفى أثناء زيارته وعائلته لمسجد أبي العباس المرسي في نهاية مفتوحة تكسر أفق التوقع عند المتلقي وتفتح النهاية على تأويلات متعددة عن مصير فتحي رضوان وبعد عشرين عامًا يذهب ابنه آدم الذي تخرج في جامعة القاهرة قسم اللغة الإنجليزية إلى دبي ويطلب فرصة عمل من سهر مديرة المدرسة .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل تماهى العنوان مع المتن أم لا ؟

فالأهمية التي حظى بها العنوان في الدراسات النقدية المعاصرة حيث عدته "مفتاحًا منتجًا ذا دلالة ، ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل ،بل يمتد حتى البنية العميقة ويستفز فواصله ويدفع السلطة الثلاثية (المبدع -النص - المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة "(٣٤)

فالعنوان "لو لم أعشقها " تماهى مع ثالوث الغواية في الرواية الجمال والشهوة والمال فلو لم يعشق البطل سهر ما

وقع في براثن الرذيلة ويمكن تأويل العنوان :لو لم يعشق البطل الوطن الذي شعر فيه بخيبة الامل ما وقع في براثن الغربة والشيزوفيرنيا والرذيلة ، التي أدت به في النهاية الضبابية إلى فقدان المصير والهوية .

المراجع

١- ينظر: السيموطيقا و العنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٥ ،عدد٣ ،١٩٩٧ص٩٧.
٢- ينظر: النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار، د.عبد الله الخطيب فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨ ،ص٥٢.
٣- ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي، محمود عبد الوهاب، الموسوعة الصغيرة، العدد(٣٩٦) بغداد، ط١ ،١٩٩٥.
٤ ينظر : نبيل منصر :الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ،دارلا توبقال للنشر ،المغرب ط١ ٢٠٠٧م ص :٢١
٥- جيرارجينيت : طروس الأدب على الأدب ضمن كتاب في النص والتناصية ،ترجمة محمد خير البقاعي ،مركز الإنماء الحضاري ،حلب ط١ ١٩٩٨م ص١٢٧
٦- كريستين مونتالبيتي: جيرار جينت (نحو شعرية منفتحة) ترجمة غسان السيد ووائل بركات ندار الرحاب د١ ،٢٠٠١،ص: ١٠٨
٧- ينظر د.محمد فكري الجزار : العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م ،ص ١٠

٨- السيد حافظ :رواية لولم أعشقها ص ٤
٩- الرواية ص : ٥
١٠ -الرواية ص ٦
١١- الرواية نفس الصفحة
١٢- الرواية ص: ٧
١٣- الرواية ص ٨
١٤- سورة آل عمران الأية : ١١٠
١٥- الرواية ص :١١رواية غبار الخاطر تأليف أبو الكلام آزاد -ترجمة وتقديم جلال السعيد الحفناوي ص٢٤٨
١٦- الرواية ص:١٢
١٧ – الرواية ص ١٣
١٨- الرواية ص١٤
١٩- الرواية نفس الصفحة
٢٠-ص ١٥
٢١- سورة الروم آية ٤١
٢٢-ينظر : عبد الحق بلعابد :"عتبات جيرار جينت من النص إلى المناص " ص ٦٥-٦٦
٢٣- خالد حسين حسين :في نظرية العنوان "مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية ص ٧٧
٢٤-الرواية ص ١٣٣

٢٥- الرواية ص :٢٢
٢٦- نفسه والصفحة
٢٧-الرواية ص:٢٧
٢٨-نفسه والصفحة
٢٩-الرواية ص ١٩
٣٠- الرواية ص٢٠٦
٣١-الرواية ص ٤٢
٣٢- الرواية ص ٤٥
٣٣- محمد لطفي اليوسفي: لحظة المكاشفة الشعرية والإطلالة على مدار الرعب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط١ ١٩٩٢م ، ص ١٨

السيرة الذاتية

نجلاء عبد السلام محمد نصير

- **المؤهل العلمى :** دكتوراة في الدراسات الأدبية والنقدية
- **جهة المنح :** كلية الآداب جامعة الإسكندرية
- **البلد :** جمهورية مصر العربية
- عضو بالمجلس الدولي للغة العربية

أبحاث علمية منشورة بمجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية :

- قراءة في رواية السراب من الوجهة النفسية.
- الحب العذري بين توْبة بن الحُميّر ومُزاحم العقيلي .
- الرمز في أدب يحيى حقي رواية "قنديل أم هاشم " أنموذجًا.
- المفارقة في أدب الفيسبوك "سرديات لاهثة "للأستاذ الدكتور السعيد الورقي أنموذجًا.
- اللغة العربية درع الحفاظ على الهوية المصرية.

أبحاث علمية منشورة بمجلة سياقات:

- التناص إشكالية المصطلح بين القدماء والمحدثين "سرقات أبي نواس "أنموذجًا
- المستتبعات الاجتماعية والثقافية والنفسية في خطاب
- الجنوسة رواية "سيدات القمر" لجوخة الحارثي أنموذجًا (قيد النشر)

- بحث منشور بمجلة سرديات : الجمعية المصرية للدراسات السردية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة قناة السويس
- سردية القصيدة في الشعر العربي القديم بين امريء القيس والأعشى.
- وغيرها من الأبحاث العلمية
- نجلاء نصير أديبة وناقدة مصرية، دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية، من كلية الآداب جامعة الإسكندرية، لديها العديد من الأبحاث المنشورة بمجلة كلية الآداب العلمية المحكمة، مدير ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، عضو بعدة منتديات ثقافية، حصلت على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية و الشكر داخل وخارج مصر كعضو تحكيم قصص وروايات .
- ها دراسات نقدية وبعض القصص القصيرة بصحيفة تينسي نيوز التي تصدر من الولايات المتحدة الأمريكية والصحف المصرية والعراقية
- فازت بجائزة د.جميل حمداوي للقصة القصيرة جدا عام ٢٠١٤ كأفضل مشاركة مصرية

كتب منشورة

- أوراق في الشعر العربي
- أوراق في السرد الأدبي
- صندوق الأمنيات

دراسة لرواية (لو لم أعشقها)

للأديب المصري الراقى / السيد حافظ

أ. سالمة المغربى – مصر



العنوان نصف جملة، أداة الشرط وفعله
أين بقية الجملة(جواب الشرط)؟
إن الجواب بأحداث الرواية.
وسنعود إليه بعد فتح طلاسمها.
وربما كان جوابا لسؤال فيه (لماذا)؟

بدأت الرواية بعنوان غير مكتمل، لكنه رغم ذلك فهو مشوق. بدأها الكاتب من أول صفحاتها بإهداء عام وجريء. إنه للزناة، لقد جمع أنواع الزنا في سطور.

هل يعقل أن يُهدي عمل كبير مثل هذا لهؤلاء الزناة؟!
الجواب كان ب(نعم) لدى السيد حافظ.
لم؟!

لأنه لم يقصد الزنا الشخصي أو الذي بين الأفراد ـ كان له نصيب من قبل الشخصيات بها ـ فحسب، إنما خص الذين يزنون جميعهم، والمتلاعبين على الله وأيضا بالوطن. وصفهم بـ (زناة العين والكلام والفكر واللمس والهمس والكتابة

والرؤيا بأحلام اليقظة). وليس هذا فحسب؛ أيضا السفهاء الذين يلعبون على الرب بالصلاة والمسبحة ودور العبادة (جوامع وكنائس ومعابد)، وإلى الكذابين الوجهاء الظرفاء - كما قال - ووصفهم بزناة الوطن صبح مساء دون حياء ويأكلون أموال الفقراء.

حتى قال فيهم:" كُتب بالسحاب بالسماء" الله ترك هذا الوطن؛ لأنه زان". في العلامة رقم(٢) بعنوان/ وأكثرهم لا يعقلون.

سؤال: هل حقا هم يستحقون اللقب؟ هل يستحقون توقيع الجزاء عليهم؟ ومن الذي سيحاسبهم، التقاة أم الله؟ ومتى وكيف يكون ذلك؟

الجواب : كل الأجوبة ضمنتها الرواية في أحداثها. كان الفشل، الفقر، السمعة السيئة، الخطيئة، الهجر، الهجرة، وآخرها الاختفاء. دلالة استحقاقهم له، أما من ناحية الحساب؛ كان للعبد دوره، ولله رب العالمين كلمته الأخيرة. أما الوقت والكيفية فكانت على مراحل وأحداث سردها الكاتب في متن وحبكة وصراع الرواية.

وكان الإهداء الخاص.. إلى أخيه الأكبر / محمد حافظ رجب، الذي اتهم فيه الأدباء بتهمة قتل موهبته الأدبية.

إن قول المتنبي:

طبعت على كدر وأنت تريدها..... صفوًا من الآلام والأحزان.

رأي حقيقي يمثل ماهية الحياة.
وقول شبل بدران:
الخير والشر ليسا إلا نوعين من الخير.
قول حكيم، فإن أصل الحياة فيها الخير، والشر يُولد من الخير كمثيله – أو توأمه الخير – فالناتج أنهما من الخير.
يقول كاتبنا في صفحة (٧) على مسؤوليته ولسانه: وعشقت مصر بصدق، ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة.
خطيئة؟! متي يكون العشق خطيئة؟
ربما لو كان اكتشف أن الوطن نفسه يخونه! في صورة أفراده الذين وصفهم بالزناة.
ويقول أيضا:
اكتشفت أن ليس لي وطن غير الكتابة. ربما لأن قمة الحرية تكون على الورق، خاصة إذ لم ينشر ما كتبه فيه بعد.
سؤال من الكاتب ساخرا:
كيف يقودني الوطن إلى الثقة فيه وهو مخلوع الرأس؟!
قيادة الوطن واجبة كما طاعتنا له، جملة مخلوع الرأس تنافي العقل الذي يفكر ويحقق ثم يقتنع.
هل قصد الرأس بالترأس؟ والرأس يكون أكبر ما في الإنسان ويتحكم فيه. ربما أيضا الزعامة.

بالرواية (٣٠) ثلاثون علامة، ولكل علامة عنوان خاص، في أكثره تناص قرآني فيه صفة لشخصيات كل جزء_ علامة_ يلصقها لها الكاتب، ومقطع روائي(مقتبس) وتعريف للروح وختمة بآية قرآنية. سنتكلم عن المغزى لاحقا تحت عناوين خاصة بكل صنف منها.

وبالرواية أشخاص - شخصيات عاملة - أساسية، وأخر ثانوية وأخر نامية، وأخيرا شبه ثانوية وجدت لغرض عندما ينتهي؛ ينتهي دورها بلا أدنى تأثير في السرد.

الشخصيات العاملة:

فتحي رضوان خليل وهو شاب مصري عمره(٣٣) سنة، يعمل صحافيا في جريدة دبي. وعليه تقوم الرواية، مقصد الكاتب الأول، وبقية الشخصيات تخدمه أو تنشط الأحداث له.

سهر امرأة شامية متزوجة من منقذ. وعشيقة ل(فتحي). استمر دورها للنهاية، ساهمت في إبراز دور فتحي الإنساني والداخلي، وتطورت حتى أصبحت عاملة بعد أن كانت ثانوية ببداية الرواية. وقد أسندت إليها لقطة النهاية باعتبارها امتدادا للخيانة التي لا تنتهي، قاصدا لها الكاتب ذلك، فهي تمثل وطن خانه بعض أهله - سياسيا - وظروفه الحالية من هجرة وضياع.

الشخصيات الثانوية (المساعدة) لتطور الأحداث وصمود دور فتحي:

حياة، امرأة يعشقها (فتحي) وتعشقه. لكن لها أسلوب خاص بالعشق. وكانت علاقتها سببا في نهاية فتحي بدبي، الذي تأثر بهذه النهاية حتى اختفائه.

شخصيات نامية تتصاعد في الأهمية:

شداد.. الذي غرر بالسيدة سهر، وتطور دوره وظهر في الحوار، وفي تحريك الماء الراكد في العلاقات بين كاظم وليزا، وبين حياة وفتحي وغير ذلك.

كاظم.. بعد أن كانت حركته بالماضي من عشق وقتل، تطور حتى أصبح يخدم دور السيدة سهر ومحركا وسببا في انفعالاتها.

شهرزاد، التي مثلث دور شهرزاد حقيقة وبرعت فيه، تطورت حتى أصبحت صاحبة القرار في حياتها. وكان لها دور في عمل الخير بالراوية، وهذا الخير كان معدوما بالرواية؛ لأن لكل فعل سبب وغرض مادي(جنسي، مالي) فيها.

حامد الصقر.. حقا كانت الرواية ينقصها شخصية رمزية مثله ومثل (شهرزاد) والجميل أنهما زوجان.

ليزا.. رمز التدخل الأجنبي الذي أشتهر عنه مقولة(فرق؛ تسد) بغوايتها فعلت ذلك وتطور دورها حين أقنعت كاظم

بالهروب معها إلى فرنسا. كانت كالعسل الأبيض الممزوج بالسم.

شخصيات غير عاملة وجدت لغرض بسيط:

تهانى..

المرأة المصرية التي تعيش على الهامش، لا يعطيها زوجها حقها إلا قليلا، كعبارات التهنئة لا تقال إلا بالمناسبات السعيدة فقط وتكون نادرة. رغم أنها تمثل نصف المجتمع، إلا أنها للأسف شخصية سالبة.

وهي ترمز لمصر في أوقات التخلي عنها من قبل الدول العربية الأخرى أحيانا.

ولتحملها وصبرها الشديد عليهم تهاني

وردة زوجة كاظم. لم تتطور غير بموقف الوظيفة التي وفرها لها أخوها عوضا عن ضياع الزوج.

راغب أخ وردة. دوره محدود، لو استغنى عنه الكاتب؛ لن يضر بالنص.

عبد اللطيف الأشرم رئيس التحرير. محفوظ عبدالرحمن صديق فتحى.

الميثاء صديقة شهر زاد بالشام. أبو الشوارب. مارينا الفيلبينية . ناجح خليل يعمل بالجريدة. سامي أخ سهر، ووالدها. سيد عثمان، فايز كركويلي، محمد سلماوي رئيس تحرير الأهرام. زهرة زوجة قاسم صديق كاظم الذي قتله.

معانى الأسماء أو ما تنبئ به الأسماء مثل :

شهرزاد.. المرأة الشامية التي تمثل حقا دور شهر زاد، تحكي عن الجبل والحياة عليه، يتجمع النسوة والفتيات حولها للحكي، في كل لقاء لها مع الشخصيات بالرواية تسهب في الكلام.

وهي ترمز لبلاد الشام القوية في زمن ما.

• **تهانى**.. تمثل مصر المضحية دوما.

• **سهر سالم زوجة منقذ**.. المرأة الشامية، من صفات السهر- والساهر - أنه متقلب دوما لا يستكين، وهذا ما حدث للسيدة سهر عندما فعلت الفاحشة، ثم تابت إلى الله وارتدت الحجاب، ثم خلعته واستمرت بعلاقة - خطيئة - مع شداد حتى نهاية الرواية.

وهي ترمز للأحوال العربية المتقلبة خاصة في بلاد الشام مثلا.

• **حامد الصقر**.. زوج شهر زاد، كما وصفه الراوي: "سُمي على اسم الصقر شاهين البحري، فهو دائم السفر وعال المقام، ودائما في القرية كان يحمل على كتفه صقرا".

وهو يمثل رمزا للرجل الذي لابد وأن يكون، راسخ العقل والعقيدة، رغم أنه ببعض المشاهد يرى ولا يتكلم كثيرا بإبداء رأي برفض أو إيجاب.

• وردةوزهرة، شخصيتان لا ظهور لهما، كعمر الورد والزهر قصير.

•شداد..كما وصفه الكاتب:" الثعلب الأحمر الذي تعود على أن يأكل أي نوع من الغذاء المتوافر من بقايا الحيوانات والقمامة. بالجزء(العلامة الخامسة) بعنوان وأكثرهم كاذبون.

ويرمز للمستغل الضعيف.

•حياة.. المرأة التي تريد أن تعيش الحياة بطولها وعرضها، متهورة في الجنس مع من ترغبه فقط وهو (فتحي).

وقد قالت عن نفسها:

" أنا من بنات الفكر والمطر ومن بنات الدهر وبنات الماء وبنات الأرض".

وحين سألها فتحي عن مقصدها قالت:

" أرجع للقاموس". بالعلامة السابعة بعنوان/ وأكثرهم لا يؤمنون.

•ليزا.. شبهها الكاتب بالفاكهة الاستوائية.

• كاظم.. زوج وردة، ابن أبيه المختار بسام ومعنى البسام (الضبع البني الذي يعيش بالصحاري) كما ذكره الكاتب.

•راغب..أخ لوردة، كما قال عنه شداد في حوار بينهما:

" خلاص خليك هيك تتنقل بين الزهور ولا تركن إلى واحدة".

قاصدا بالزهور قصته مع عشيقته السابقة(زهرة) التي قتل زوجها يوما. في العلامة (٦) السادسة(أكثرهم لا يعلمون).

•آدم فتحى رضوان خليل.. ثلاثة أرباع الاسم طيب(آدم) نبي، (رضوان) حارس الجنة، و(خليل) اسم نبي الله إبراهيم، وأيضا بمعنى الصداقة المخلصة، عليهم جميعا السلام. أما اسم (فتحي) هو الاسم الشاذ فيهم، فيه انفتاح وصاحبه يعشق نساء الغير، لا يتقي الحرمات.

• ونقيس بقية الأسماء على صفاتها من خلال السرد.

يختار الكاتب من الشخصيات التي يوظفها للتعبير عن أفكاره وآرائه شخصية محورية تتجه نحوها أنظار بقية الشخصيات، كما أنها تقود مجرى السرد والحبكة بأحداثها، كانت شخصية (فتحي رضوان خليل) هي الرئيسة. وقد سماها النقاد وأطلقوا على هذه الشخصية مصطلحا يميزها ويعطيها قدرها وأهميتها بـ"البطل" لأن دورها رئيسي في العمل القصصي.

إن شخصية - البطل - أو الرئيسة، هي الشخصية الفنية التي تقتنص تستحوذ اهتمام القاص ومن ثم القارئ، وقد تكون شخصية سلبية، وقد تكون شخصية إيجابية، و ربما مترددة وغير متزنة، أو مريضة نفسيا، وقد تكون محبوبة أو مكروهة، يتأثر القارئ بأفعالها؛ فيكرهها. ويعد هذا نجاحا للكاتب إذا جعل القارئ - المتلقي- يكرهها إن كانت شخصية

سيئة وأفعالها مشينة أو خائنة، وكذلك العكس صحيح لوكانت شخصية مثالية للطيبة.

نادى بعض النقاد بعدم تسمية الشخصية الأولى بالنص باسم " البطل" لأنها مقترنة بظهور الأدب الخيالي والأسطوري الذي نشأ في العصور الوسطى وهو في نظرهم بطولة زائفة، واجتمعوا على تسميتها ب(الشخصية الرئيسة)، لأنها أنسب حيث أنها تتلاءم مع الدور الفني الذي أسند إليها من قبل الكاتب. كشخصية فتحي رضوان خليل.

وأنا أتفق معهم في هذا الرأي، لأن أحيانا تكون الشخصية الأساسية شريرة أو هادمة، فكيف نطلق على الشر بطلا حتى ولو بالقص، أو على الورق؟!

أما الشخصية المساعدة والتي تشارك في نمو الحدث القصصي وبلورة معناه والإسهام في تصوير الحدث؛ وظيفتها أقل أهمية من وظيفة الشخصية الرئيسة، رغم أن منها ما يقوم بأدوار قوية ومصيرية في حياة الشخصية الرئيسة. مثل شخصية سهر وحياة وحامد الصقر بالرواية

الشخصية المعارضة وهي شخصية تمثل القوى الأخرى التي تعرقل نجاح البطل أو الشخصية الرئيسة أو الشخصية المساعدة، بإفساد خططه مثلا، وتعطيل سبل نجاحه، والوشاية بينه وبين أصدقائه أو أصحاب العمل، كانت الشخصية

المعارضة هنا لفتحي وظن أنها من أوقعت به وسبب طرده من الجريدة، كانت شخصية (سيد عثمان). وكان شداد يوقع بين كاظم وسهر. ويشهد لشداد أنها شخصية قوية.

كلما اشتد الصراع فيه بين الشخصية الرئيسة والمعارضة؛ تظهر قدرة الكاتب الفنية في الوصف وتصوير المشاهد التي تمثل هذا الصراع ، ويزيدها جمالا وجود الشخصية التي تستخدم الألغاز المحيرة للقارئ.

وقد أوضحنا من قبل أن الشخصيات الثابتة - البسيطة - التي تبقى على حالها منذ البداية حتى النهاية ولا تتطور، لا تزيد ولا تنقص من مكوناتها الشخصية، مثل شخصية تهاني زوجة فتحي، و وردة.

الشخصية النامية التي تتطور من موقف إلى أخر بحسب تطور الأحداث، فتظهر قيمتها أو أهميتها في الرواية أو السرد، أو الوصف تدريجياً مع جريان وتطور الأحداث. وكانت شخصية سهر و حياة.

المقتطفات بالرواية ومغزاها:

مقاطع بكل جزء تحت مسمى(روح). بكل جزء يعرفها الكاتب تعريفا مختلفا عن الآخر، على لسان حكماء وشعراء وغيرهم. يهدف من خلالها الترويح، أو الاستراحة من بعد سرد المتاعب والمشاكل.

أعتقد أن السر في اختيار ووضع (روح) بكل جزء؛ ليكون ترسيخا لمفهوم الحب الذي يجب أن يكون، لا خيانة فيه ولا استهتار ولا قتل أو اغتصاب وعدوان.

وأن المقاطع المأخوذة والمقتبسة من روايات عالمية وعربية؛ تدل على مدى ثقافة الكاتب الشاملة الواسعة.

كان أسلوب الكاتب يمزج فيه بين كتابة المسرح والرواية، يظهر ذلك ببداية كل جزء أو علامة- كما أطلق عليها- فيصف الزمان والمكان وبعض تلميحات على المكان كأنه يصف خشبة المسرح من حيث التواجد والأثاث والإضاءة والديكورغيره.

هذه الطريقة تعد من طرق ما بعد الحداثة، وبها أيضا خاصية الميتا سرد، وهو ما وراء السرد، وفي جعل الكلام الشخصي ورأيه على ألسنة الشخصيات. وبها تداخل المذكرات والحس الروائي(سرد ذاتي) مع روائي بحت(سرد تاريخي) وهدفه نقد مجتمعي.

لقد استحضر الشخصيات التاريخية (صلاح الدين ونور الدين، عمرو بن العاص وعبادة الصامت والمقوقس، محمد فريد وسعد زغلول)وغيرهم، وفرعونية(نفرتيتي وابنتها)، والصوفية والدينية (الحلاج وذو النون والحسن البصري) وغيرهم من الأنبياء والأولياء.

المقصود بالاستحضار هنا؛ جولة في عوالم التاريخ، التي أظهرت مدى ما يكنزه الكاتب من معلومات، وقد أحسن استخدامها لما فيها من تشابه لفظي أو سري واتفاقها مع مجريات الأحداث في - العلامة – أو ردا على التساؤلات.

وقصد مثلا الانتقاد الديني، في سورة التحريم؛ لرفضه لأفعال حياة.

بالرواية إسقاط بذكر الزنا الفعلي وزنا السقوط. كلها ترمز إلى اللعب بالوطن، وأن العرق دساس.

في العلامة (٢) الثانية بعنوان" وأكثرهم لا يعقلون " يقول فتحى:

" وجدت في الصفحة الأخيرة في العمود الأخير، كُتب خير بخط صغير(وجد الوطن ميتا في ضاحية المدينة، حافي القدمين وقد سرقت كليته وقلبه، وقطع لسانه ونشرت أصابع يديه)".

وفي العلامة (٣) الثالثة بعنوان "وأكثرهم الكافرون" يقول فتحى:

"إلى أين تفر يا ابن رضوان؟ إلى قطر.. المدينة التي مساحتها مثل مساحة شارع شبرا ومكانتها مثل قارة أوروبا؟

هل تسافر إلى الكويت.. التي تعرف أن المسيح مر ذات ليلة عليها ومسح على شعرها ومضى؟

هل تذهب إلى مكة بالسعودية.. لتكون بجوار الكعبة لترى الله ذات ليلة وتكلمه مثل الأنبياء موسى أو إبراهيم؟

أم تذهب إلى باريس .. المدينة التي خلقها الله من نور؟".
ولأن تقسيم البلاد عنده نقد انفعالي وليس عقلاني. بمعنى أنه يشكو ولا يقدم حلا مثاليا، أو يترك للقارئ حرية إيجاد الحل الذي يلائم طبيعة وظروف بلده.

يقول في العلامة (٩) التاسعة بعنوان "أكثرهم لا يشكرون":

" هل قسمتم الوطن وأنا غائب يا أولاد الكلب؟! وذهبت إلى ليبيا وجدتها قُسمت إلى ثلاث دول، فذهبت إلى الجزائر وجدتها أيضا قسمت إلى ثلاث (دولة فرافكونية، ودولة أمازيغية، ودولة إسلامية عربية)، ذهبت إلى المغرب وجدتها قسمت إلى ثلاث مثل الجزائر، ونفس الشيء في تونس، ذهبت إلى السعودية؛ وجدتها قسمت إلى خمس دول، وسوريا إلى ثلاث دول، والسودان إلى ثلاث، نظرت إلى نفسي؛ وجدتني خمس شخصيات".

يتكلم فتحي بصفته الشخصية الأساسية بالرواية عن أحلامه وشكواه من آلام الوطن قائلا:

" أنا ذو الوطنين، مصر التي تهينني كل لحظة، مصر التي ذاكرتها مثقوبة وخيراتها منهوبة، ولكن ثان كان في حلمي ليس له عنوان. حلمت بباريس جنسية، وحلمت بألمانيا لكن ظللت في مصر، وأصبحت وطنا سجنا قهرا تجاهلا".

وذكر آيات قرآنية بختمة كل علامة، فيها صراع داخلي، بين تراثه الديني وبين الواقع المرير المخالف له. وكذلك انتقاد ديني لرفضه للأحداث التي تعارض القيم.

وكذلك يذكرها أحيانا باللاوعي لنقد الواقع نفسه. كأنه منقسم إلى شقين متنافرين.

شخصية فتحي رضوان خليل، حين كتب ذكرياته؛ كتب جزءًا من شخصية الكاتب وذكرياته، أو بمعنى أخر كتب الكاتب عن نفسه على لسان فتحي..

استخدم القارئ أسماء كثيرة لشخصيات - مقصودة – مع تحريف لبعض حروفها، تلميحا لتأثيرها في تغير أحوال الوطن وغير ذلك.

بالرواية سرد مباشر وسرد فنى غير مباشر.

رغم أن المباشرة عادة تعيب النص؛ إلا أن المباشرة كانت في المقالات والسير الذاتية للأشخاص(تاريخية، صوفية، فرعونية.. إلخ) وهذا يهون الحكم عليها، لأن المقال يختلف عن القص ببعض أساليبه.

الأصوات بالرواية:

من المعلوم أن للقصة بجميع أنواعها أصوات، وكلما كبر حجم الرواية؛ زاد عدد الأصوات، وهي تكون منولوجات أو حوارات، أو شرح ووصف، أو إبداء رأي ونصح.

وكذلك صوت السارد، منه صوت العليم، فيه يقول ويسرد كل شيء بصفته العالم بخبايا الشخصيات والسرد وواع للأحداث، وله أن يستبق، أو يؤخر، يقول ويكتم لحين، عادة صوت الرواي.

والسارد المشارك كما علمنا يكون سرده على لسان شخصية أو شخصيات. أو يكون هو أحد الشخصيات بالرواية، بصرف النظر عن كونه عامل أو ثانوي أو هامشي. ويكون هنا سارد (محايد) يصف دون أن يلزم القارئ بأي وجهة نظر خاصة به.

وهنا بالرواية؛ نجد صوت آخر للسارد، يمكننا أن نسميه ب(الدخيل). متى نحكم عليه بهذا اللفظ؟

إذا وجدناه يفرض صوته ورأيه الشخصي على القارئ؛ بغية التأثير عليه ليقتنع بما يراه هو، أو بحكمه على الأفعال والأحداث ومن ثم على الأشخاص، أو لشرحه وتفسيره للمفسر بوجهة نظره هو، ومن المعلوم أن تفسير المفسر عيب في السرد؛ لأن القارئ المميز قد يشعر ببعض الإهانة بعقليته.

من الجمل والمقاطع التى ظهر فيها السارد الدخيل:

- وتعدنا الأيام بالمجهول، والزمن بالمفاجآت *(العلامة ٢) وأكثرهم لا يعقلون.

- النساء الجميلات حين تتلاقى؛ لا يتحدثن عن قدرتهن لركوع الرجال أمامهن أو بكاء بين كفوفهن أو مواهبهن في معاقبة الرجال وجعلهم يرفعون أياديهم.. إلخ.

- والخمر خطيئة بالدنيا، وفي الآخرة خمر أخرى لا تسكر، ولكن تنعش القلب والروح. *(العلامة ٣) وأكثرهم كافرون.

- حامد الصقر(سمي على اسم الصقر شاهين البحري.. إلخ) وكذلك شرح معنى المختار البسام:(هو الضبع البني.. إلخ) ووصف الشيخ العقل:(طبقة من رجال الدين عند الدروز.. إلخ). *(العلامة ٣) وأكثرهم كاذبون.

- من السخف أن تظن أنك على صواب دائما. *(العلامة ٦) بعنوان/ أكثرهم لا يعلمون.

- من الحمار الذي قال إ، كل النساء متشابهات في الفراش؟! أو أنهن مجرد جسد واحد مختلف الأسماء؟! العلامة (٧).

- يبدو لي طبيعيا أن أنسى عمري، والوقت يبدو لي طبيعيا أكثر أن أعشق الليل والبيانو.. إلخ. العلامة (٨).

- لماذا نتهيأ للخطيئة والحرام أكثر من تهيئنا للحلال والفضيلة؟!

لماذا نتوعك الروح قليلا ونكسل في مزاولة الواجب الزوجي المقدس على الأرض.. إلخ).

- ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى بدلال. *(العلامة ٧) بعنوان/ أكثرهم لا يؤمنون.
- ها هي مهرته الغالية صارت ناضجة.. إلخ.
- ها هو الصياد تأتيه الفريسة.. إلخ. *(العلامة ١٠) بعنوان/ وما كان أكثرهم مؤمنين.
- حين تكون فاقد الأمل.. إلخ. *(العلامة ١١). بعنوان/ وأكثرهم مشركون.
- فدائما الغشيم تمتاز ضرباته بالقوة الغاشمة. *(العلامة ١٣) بعنوان/ هم في غمرة ساهون.
- حين ترى الشارقة في الليل وهي هادئة؛ تشعر أنها حضن الأرض الطيب.. إلخ. *(العلامة ١٤) بعنوان/ هؤلاء الضالون.
- سكتت المرأتان، سكوت النساء خطر، وثرثرة النساء أمان، لا شيء في أمان.
- هل الخطيئة قدر مكتوب علينا؟ هل نحن نصنع الخطيئة بقصد أم نحن نسعى إليها وندعي أن لا حيلة لنا فيها؟!
*(العلامة ٢٠) بعنوان/ لنكونن من المرجومين.
- هل اسم الذهب يسلب النساء عقولهن؟!
- هكذا تدخل الطيور الأقفاص ظنا منها حبات القمح كالذهب؟.

- البدايات تبدأ بالتنازل، بالمرح، والضحك، وخفة الظل، هكذا تعود شداد مع النساء. *(العلامة ٢٢) بعنوان/ ولتكونن من الخاسرين.

- الحرية ليست فوضى المشاعر، والشيوعية ليست شيوع الحرام، والإيمان ليس الصلاة فقط، والحب ليس الجنس فقط، والرزق.. إلخ. *(العلامة٢٦) بعنوان/ أكثرهم لا يعقلون.

- وهكذا تخدع النساء الخائنات أزواجهن بوضع اسم العشيق باسم امرأة (فيفي أو سلوى) أو (ف) أو (ب) أو كاف، وهكذا يفعل الرجال؛ يسمون عشيقاتهم.. إلخ. *(العلامة ٢٧) بعنوان/ وأكثرهم لا يعلمون.

ولهذا ننادي بعدم الفصل أو التفرقة بين الشخصية وبين الحدث، لأن الحدث هو للشخصية وهي التي تتفاعل معه، والشخصية فاعلة للحدث.

ومن الأصوات (المنولوج) مثال:

- حديث النفس من قبل فتحي (فكرت أن أخبر تهاني بما جرى وما رأيت، فهي لم تصدقني، فكرت أني ربما لم أر شيئًا، وربما أكون مجهدً نفسيًا ويتراءى لي أشياء وأني متعب وعلي أن أكتب استقالتي.. إلخ) العلامة (١).

- وأنا طائر البطريق الذي يسبح في محيط العشق لمسافات طويلة؛ ليجد قوت يومه، ولا يجده إلا بالصدفة أنا البطريق

عاشق الحرية والحرية سحب بعيدة بعيدة بعيدة، ترى هل ستعرف تهاني.. إلخ. العلامة (٤).

- انا أحبك يا تهاني، ولكن قلبي يفيض حبًا يكفي نساء كثيرا، ولكن حتى الآن لم لأفهم سر الخيانة في العشق. العلامة (٤).

- لا تعرفين يا تهاني معنى وجع الروح لرجل بسيط مثلي، تقولين بكل بساطة نرجع مصر، وهل مصر وطن أم كفن أم سكن أم الثلاثة معًا؟ هل للوطنية بطاقة شخصية؟ وهل للشرفاء أي سكن على هذه الأرض.. إلخ. العلامة (٤).

- النساء سحب منهن من تمطر الحنان، ومنهن من تمطر الدموع، ومنهن من يبخلن بالعطاء ويسرن في سماء الأرض بلا هدف. قال الحاج رضوان: مصائب الأرض من النساء، وقلت النساء فرح الأرض والسماء وضحكات الأطفال وقصائد الشعراء. العلامة (٤).

- يا قوم.. أنتم تسيرون على جثة الوطن.. إلخ. العلامة (٩).

- هل قسمتم الوطن وأنا غائب يا أولاد... إلخ، العلامة (٩).

وغير ذلك بالرواية.

- على لسان سهر: آه يا أبي، أيها المقاتل القديم ضد الفرنسيين....، آه يا أبي الطيب وأمي الطيبة....(العلامة ٢٥) بعنوان وربك أعلم بالمخلصين.

ماذا تقول الكوابيس والرؤيا التى يراها فتحى بنومه وصحوه؟

حين يتطرق الكاتب إلى كتابة مثل هذه الأمور(أحلام ورؤيا) فإنه يشكو ويبوح بطريقة غير مباشرة عما يعانيه البطل- الشخصية الرئيسية بالرواية - بدليل لم يحلم غيره في الرواية. يقول مالم يقوله علنا، كالمسكوت عنه، الإرهاق النفسي.

فتحي.. يمثل مصر وليس شبابها فقط، وفي لحظة أخرى نجده يمثل العالم ويرفض ما يقسمه أو يشتته، رغم أنه صرح بأنه مقسم لخمس شخصيات. فهو يرفض التقسيم، العنصرية، قتل الوطن وامتهانه، يأتي الضمير الخالص على هيئة نور؛ لأن هذا النور – الرباني- ليس مادة مصنعة، ولا يملكها أو تأتي الكثير من البشر المنغمس في الملذات والشهوات. ورغم أن فتحي منهم، إلا أن ما زال بداخله ضمير يعاتبه ويؤنبه على تصرفاته وأفعاله المشينة. وقد ربط الكاتب هذا المعنى بأخر الرواية حين جعله يشتاق إلى المسجد – المرسي أبي العباس – وليس هذا فحسب؛ بل يجعله يذوب بين مريديه طلبا للنقاء، أو ربما أن شجرة النقاء ما زالت تنمو بداخله وأورقت.

وكذلك سهر حين أطفأت نور حجرتها؛ وجدت أمامها امرأة عجوز يشع من وجهها النور وكانت (رابعة العدوية)، لماذا كانت رابعة العدوية بالذات؟

لأن رابعة - قيل عنها أنها- أشتهرت بالبغاء - في صباها، ثم تابت توبة نصوحة، وكذلك سهر لقد زنت بإرادتها مع فتحي، وأفاقت حين اعتدى عليها من قبل شداد. فكانت الرؤية تسلية نفس، أحسنت استغلالها وقتا وتحجبت؛ ثم عادت إلى ما كانت عليه سابقا.

الرواية وخصائصها وما استخدمه الكاتب منها والعكس:

- الرواية هي تعبير عن رؤية الكاتب عن الحياة أو سرد مواقف منها اجتماعية أو فردية أو وجهات نظر الأخرين، عن طريق طرح عاطفته ووجهة نظره.

نجد بالرواية أن الكاتب قام بطرح وجهة نظره عن طريق المنولوج، والحوار كذلك. وبالرواية مواقفها التي تبين هذه الوجهات وغيرها.

وقد أتم مثلثات تقنيات بناء السرد ، مثلث (١) الفكرة، الوصف، الخاتمة.

ومثلث (٢) الحوار، السرد، الشخصيات.

ومثلث (٣) عن الفضول المعرفي.. التعجب (كيف، لماذا، ماذا بعد)؛ فأثبت أن الرواية لم يكن أساسها أو الغرض منها هو التسلية فقط، جين خدمها بالتقنيات والمثلثات التي سبق وشرحتها سابقا.

السرد ليس بالعملية السهلة لمن أراد التفوق أو التميز من الكتاب، على السارد أن يتحرى الحقيقة وصدق المعلومة التي سيضعها بالمتن؛ لأن القارئ ذكي ومثقف ويمكنه كشف الزيف، وعليه سيخسر القارئ، ولا سيما القارئ المميز.
لاحظنا أن السرد تتابعي، والمعلومات الغيرية (التقديم الغيري) كان صادقا وافيا على ألسنة الشخصيات وكذلك الراوي.
أما بالنسبة للحوار، حين أمسك بتلابيبه، الذي من شأنه أن يخفف من رتابة القص، جعله يساعد في وصف الشخصية داخليا وخارجيا. قدم المعلومات من خلاله. رغم أن الحوار طويل وأخذ حيزا كبيرا – اعتدى على مساحة الوصف – فللكاتب عذره، فهو بالأساس كاتب مسرحي، غلبه طبع المسرح. وفي نفس الوقت لم يهمل الديالوج والمنولوج الذي يغطي هذا التقصير.
من أسباب نجاح القص، الإجابة عن علامات الاستفهام التي تدور في خاطر القارئ(أين، متى، كيف، ماذا، من، ولم ولماذا). أجاب عنها الكاتب بل وزاد عليها(ماذا لو، وماذا بعد) في أكثر من منولوج لفتحي. وهذا يحسب لصالحه.

للعلامات الثلاثين (٣٠) استهلالات، (زمكانية)، ثم (وصفية) للشخصية داخليا وخارجيا، أو الاثنين معا. وكان الوصف أكثر من خلال السرد كما رأينا. ولم يتعرض كثيرا للوصف الجسماني لهم، كان بالإيحاء حين يلمح لعمر الشخصيات.

لم يذكر عمر (فتحي ٣٣ سنة) إلا عندما ضاع من أمه وهذا بآخر الرواية.

وكانت البدايات ترتكز على الأحداث أكثر من الوصف، وهذا ما جعل القارئ متشوقا لمعرفة ما تسفر عنه النتائج.

القص الما ورائي أو ما وراء القص، هو نوع من الكتابة السردية، ذاتي الانعكاس، أي أن النص يمتلك وعيا ذاتيا و يكسر الحاجز بين الواقع و الخيال. يتمظهر القص الما ورائي في أشكال مختلفة، عندما يقطع الكاتب حبكة النص ليشرح شيئا معينا وقد وصفته هنا بالراوي العليم وفي مواطن أخر بالراوي الدخيل.

لقد راعى الكاتب المسافة الروائية، التي نشأت أثناء الحوار الصريح أو الضمني القائم في النص الروائي بين (المؤلف نفسه، والراوي مثل فتحي أحيانا مع الراوي العليم، والشخصيات جميعهم وكذلك القارئ) فيمكن لأي فرد سردي أن يتماهى مع آخر، أو قد يجد نفسه معارضا معهم بسبب مبدأ ما، أو حكم من الأحكام. وله أن يجعل هذه المسافة(أخلاقية،

أو فكرية أو مادية أو غير ذلك). وبهذا قد خدم النص وأظهر بذكاء أبعاد الشخوص خاصةً النفسية.

استخدام السيد حافظ للديمومة في الرواية، راعى فيها زمن الحكاية وطول النص بصلة زمنية لتبطئ أو تسرع السرد، منها أنه ذكر بكل علامة زمن دقيق ومتلاحق، وفي بعضها حدد بقوله (سنة وراء سنة) ثم قفز بأخر بقوله (وبعد عشرين سنة) في أخر الرواية.

المشهد.. عامل من عوامل التهدئة، بالتكوين الزمني المرحلي، فالمشهد يتكون من لقطة تعبر عن فعل في الرواية في مرحلة من مراحلها ويكون مؤثرا فيها.

لقد راعى الأديب البعد الاجتماعي، بذكر مستوى العلاقات الاجتماعية والمنزلة والقدر بين الشخصيات، كان ذلك واضح في وصف شخصية(حامد صقر) وكذلك شهرزاد.

وردت بعض الكلمات الأجنبية (الإنجليزية) على لسان الشخصيات مثل ليزا وحياة وسهر، أوجدت تفاعلا اجتماعيًا مقصودا لوجود جنسيات أجنبية بالرواية مثل (ليزا) وتأثير لغات الغرب على العرب أيضا.

لى ملاحظة:

لماذا تتحدث ليزا -الفرنسية- بلغة إنجليزية في(ADORE IT I) وليزا فرنسية!

و (أوو ماي جد) كتبها بالعربي ولم يكتبها بالفرنسية (OH MON DLEU)!

رغم أنهما خطأن؛ إلا أن كتابة الجملتين بالعربية أهون.

النهاية:

وهى آخر شيء في القصة سواء قصيرة أو نوفيلا أو رواية، وقد تتضمن النهاية عنصر الحل الذي أراده الكاتب، فعليه أن يحسن صياغة النهاية المثيرة المدهشة والغريبة نوعا ما، أو الغير متوقعة ليجعل القارئ معجباً ومتأثراً بها، وقد تكون الكلمات الأخيرة أو الجملة الأخيرة ذات صدى في سمع القارئ لا يكاد ينساه.

وكذلك نشير إلى أهمية الجملة – أو الجمل – الأولى بالنص، كلما كانت مدهشة جاذبة؛ كانت ذات أثر، فجمل البداية والخاتمة لا يُنسيان بسهولة إذا صيغ كل منهما ببراعة من قبل الكاتب. وقد أشتهر الكاتب الأمريكي(أرنست همنغواي) بتميزه في عنصر النهايات.

الحلول في النهاية التي اختارها السيد حافظ؛ كانت الاختفاء، اختفاء الشخصية الرئيسة (فتحي) كعنصر للحل.

أحيانا يجعل حلولا لإخراج البطل من أزمته بالرؤيا، ثم أيضا يخرجه من كابوسه بحل أخر وهو أن يجعله يستيقظ من النوم ويكون كل ما رآه من مشكله حلما وليس واقعا يخافه.

نشير أن نجاح الشخصية في العمل الروائي يرتكز على نجاح الروائي في أن يلعب جميع الأدوار بالرواية، بمعنى أنه يمثل نفسه ثم الشخصيات وكذلك المتلقي. (كاتب، شخصيات، قارئ).

البعد الرابع هي نظرية التحرر من القيود، تستوعب النص وتخرج به لحيز جديد ثري بالدلالات، فالإبداع لا يعترف بالقيود، وهذه النظرية تنطبق على رواية السيد حافظ(لو لم أعشقها) فقد خرج من قيد الاستهلال بالجمل إلى رحابة الاستهلال بذكر الزمان والمكان ثم الحوار المباشر.

وحقق نظرية الأديب الأرجواني (إدوارد غالينو) حين قال:

أنا لا أطلب منك أن تصف سقوط المطر، أنا أطلب أن تجعلني أتبلل، فكر بالأمر، أيُّها الكاتب!

كان ذلك حين أجرى المنولوج على لسان فتحي مرات عديدة، وعلى لسان سهر مرة، وعلى لسان شهرزاد. وأيضا حين سرد الأحلام والكوابيس والرؤى بالرواية.

وكذلك حين تكلم عن أهمية الوطن من خلال ضجر فتحي بأحوال البلاد المتدنية، ومن خلال وضع الممارسات الجنسية على قمة أولويات أكثر أبطال – أشخاص – الرواية.

وبما أن النهاية هي أخر ما يربط القاص بالمتلقي؛ فإن كبار الأدباء يسعون إلى صياغة نهاية القص بكلمات أو حكم مؤثرة

أو مشهد قوي، أو انتصار وتحقيق ما يرغبه القارئ عاطفيا؛ حتى لا ينساه أبدًا.

المفارقة التي أرادها الكاتب بالنهاية المفتوحة للرواية، هي تفعيل دور جديد – للجيل الجديد – المتمثل في آدم فتحي رضوان، كإشارة لاستمرارية الأحداث، وأن الأيام دول، وتشبه بعضها بعضا.

أدركت ذلك الشخصية النامية المستمرة (سهر) حين قرأت اسم الشاب على الملف، وسألت عن ماضي عشرين سنة؛ لتفاجأ بالنهاية أن لا وجود له في تلك السنين الفائتة.

ماذا أراد الكاتب من سرد الرواية؟

لقد أوضحت بعضه أثناء التحليل. وعلى القارئ أن يقرأ ويحلل ثم يقرر، ومنه يكون القرار الأخير الذي به يشهد للكاتب بالنجاح من عدمه.

يقول الكاتب الإنجليزي (سومرست موم):

إذا كان باستطاعتك أن تخبر بالقص، وتخلق الشخصيات وتبتكر الأحداث بشفافية وصدق؛ فليس المهم حينها كيف تكتب.

وهذا يتوافق - رغم قدم هذا الرأي - مع ما بعد الحداثة .

والشاهد في كتابة المقالات التاريخية والدينية بالرواية؛ ليثبت بها عمله كصحافي.

وكانت شهادة لثروته الثقافية.

نعود لما بدأنا به، وهو العنوان، وأتساءل:
من القائل(لو لم أعشقها)؟
من المعشوقة المقصودة بالرواية؟
والجواب؟
بالنصف الأول بالرواية أخذنا الكاتب إلى اليقين بأن القائل هو فتحي، وأن المعشوقة هي الحياة الدنيا، رغم أنه طرح عدة معشوقات (سهر، حياة) وكذلك سار بنا إلى عشق أخر قوي وهو عشق البلد(مصر) ولهذا يشكو غربتها.
وأيضا قال عنها في الصفحة السابعة: " عشقت مصر بصدق، ولم أكن أعلم أن عشقها خطيئة!". مع ذكر انتقادات لها وما يدور فيها، وعدم رضاه الكامل عنها، وتخوفه من الرجوع إليها.
حين طرد من دبي؛ بكى بحرقة، هل هذا البكاء يجعلنا نصدق أنها هي معشوقته؟
وكذلك لم نجده يندم كثيرا على فراق سهر وحياة وهما مثالا للشهوة والمتعة لديه!.
ولهذا كان التخمين أقرب للحياة الدنيا، وأجد الدليل في لحظة اختفائه بأنه هرب لأنه لا يستطيع العيش بدون ملذاتها، والمتمثلة في (المال والنساء).
كلما كثر التأويل، كان لصالح النص.

كلمة أخيرة

الأديب السيد حافظ لم يبخل بمشاعره على المتلقي، ولا بمعلوماته التاريخية والوطنية والثقافية.

وأن جعل من المقتطفات (روح) استراحة للقارئ ليفصله بها عن واقع كل شخصية أن تؤثر على ما بعدها.

وإذا جمعنا تلك المقتطفات في صفحات متتالية لا يفصل بينها نص مقتبس ولا روائي؛ لكانت فصلا بذاته ممتعا.

وكذلك بالنسبة للمقاطع الروائية لكبار الأدباء الغربيين والعرب، وأبيات الشعر العربي، أدت مغزاها بحرفية.

أما الاختتام لكل – علامة – بالآيات القرآنية؛ فهي نعم الذكر والتذكر.

وقد أعجبني حقيقة أن الآيات اختيرت بعناية لتفيد النص، وأنها كانت مرقمة حسب ورودها بالقرآن الكريم وأجزائه، لتتوافق مع أرقام العلامات ذاتها.

وكذلك التناص الذي استخدمه الأديب في العناوين، من الآيات الكريمات، كان يوافق الحدث والهدف من سرد العلامة.

الشكر كل الشكر للأديب الروائي والمسرحي الذي أمتعنا بهذه الرواية الراقية.

تمنياتى له بدوام التوفيق والرقى والترقى.

سالمة المغربى

تحريرا في ١/١/٢٠٢١م.

السيرة الذاتية

سالمه محمد أبو السعد عبدالله المغربى

أولاً : البيانات الشخصية :

البريد الإلكتروني : salmaelmaghraby5@gmail.com

الجنسية : مصرية

التخصص الأدبي : أديبة وناقدة

ثانيًا : الخبرات العملية :

١- مُدرسة بالمملكة العربية السعودية (سابقاً)

مُدرسة برياض الأطفال من عام ١٩٨٨ إلى ١٩٩٦

مُدرسة بمحو الأمية بمحافظة القصيم، المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٤ الى ١٩٩٦. الفترة المسائية.

٢- أديبة، عضو منتسب في اتحاد كتاب مصر، منذ عام ٢٠١٤.

٣- حاصلة على شهادة تكريم من المجلس القوي للمرأة بالقاهرة (كوني مبدعة) لعام ٢٠١٩

ثالثا : النشاط المجتمعى والاجتماعى :

* عضو بمختبر السرديات ، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية.
* عضو بمبادرة (أكوا ACWA) الإسكندرية مدينة إبداعية.
* عضو في المركز الروسي بالإسكندرية
* المشاركة بالحضور بقصر ثقافة الأنفوشي، والأتيليه، الإسكندرية.
* المشاركة بالحضور بقصرثقافة الشاطبي، الإسكندرية.

* المشاركة بالحضور بقصر ٢٦ يوليو، الإسكندرية.
* المشاركة بالحضور بنادي أدب قصر ثقافة مصر الجديدة، بالقاهرة.
* المشاركة بالحضورفي مكتبة المستقبل مصر الجديدة .. القاهرة.
* المشاركة بالعديد في تحكيم مسابقات القصة القصيرة في جروبات الفيسبوك.
* إنشاء وإدارة قناة (فضفضة واحدة ست للأديبة سالمة المغربي) على موقع YOUTUBE
* تنقيح و تحرير ونقد العديد من الأعمال الأدبية والفنية للأدباء.

رابعًا : الإصدارات الأدبية :

١-عطر رجالي (مجموعة قصصية) إصدار٢٠١٤

٢- قيثارة و وتر حب (شعر و خاطرة) إصدار٢٠١٦

٣- فضفضة واحدة ست (مجموعة قصصية) إصدار ٢٠١٧

٤-عدل افتراضي (رواية) إصدار ٢٠١٩

٥- نصف جسد خالد (رواية).

خامسًا : أعمال أدبية تحت الطباعة :

١- فضفضة واحدة ست الجزء الثاني (مجموعة قصصية).

٢- مسرحية اجتماعية بعنوان(إشارات العدل).

٣- مسرحيات تعليمية أخرى ذات الفصل الواحد.

٤- رواية (الشيخ المغربي).

٥- الدمية (رواية).

٦- خلق رابع (رواية).

لو لم أعشقها للكاتب السيد حافظ
رؤية نقدية بقلم

أ. هويدا رجب موسى السيد

باحثة فى مرحلة الدكتوراة

ماجستير لغة عربية – شعبة الدراسات النقدية – كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الإسكندرية - مصر

الزمان:

زمن أحداث الرواية:

أوائل التسعينات إبان حرب الخليج العربي، ومقتل جمال حمدان ١٩٩١م.

المكان

دبي:

أرض الأحلام والثراء، كما وصفها الكاتب من الوجهة التي يعنيها، بحر هادر من المال والأعمال نقود تجيء ونقود تذهب، دائرة مال شيطانية ليس لها منتهى.

بلد لا تنتمي للوطن العربي إلا بالموقع الجغرافي فقط وربما بل الأكيد أن تكون المكان الأنسب لطبيعة الرواية وشخوصها ومجريات الأحداث؛ إذ إنها تنفصل انفصالا تاما عن كل ما يجري في الوطن العربي من صراعات؛ وكأنها تعيش بزمان تالٍ على زمن البلاد العربية حولها بسنوات ضوئية .

الموضوع

من قضايا الواقع الاجتماعي.

الشخصيات

برع الكاتب في إقامة شبكة العلاقات بين شخوص الرواية على اختلاف طبيعتها بين فتحي وزوجته، المصريين الوحيدين في الرواية، وبين العائلة السورية التي تجمعها صلات قرابة ونسب ووجودها كشخصيات مغتربة في غير أوطانها.

فتحى رضوان:

فتحي شخصية مريضة نفسيا؛ فقد أعطانا الكاتب أول الأدلة على خلله النفسي في المشهد الأول من الرواية؛ حين جاءه ضميره زائرًا ورآه متمثّلًا له بشرًا سويًا. هذه الصور التي يراه أمامه في صحوه دليل قاطع على مرضه النفسي؛ فهي لا تعدو عن كونها هلاوس سمعية وبصرية كما يطلق عليها علماء النفس، تتمثل له في حضور الأولياء والصالحين، وهي الصور المناسبة لنزعته الروحية الصوفية التي لا سلطان لها على شهواته. فبالرغم من ثقافته الدينة الواسعة وحبه لله وأوليائه إلا أن كل هذا لا يردعه ولا يمنعه من الوقوع في الخطيئة والانجراف وراء شهواته التي يحبها فهو وإن كان

شفو قا من عذاب الله حي يا من حسابه، محبا لأوليائه إلا أنه بنفس القدر مح با للشهوات. وقد أعطانا الكاتب هذه الإشارة في مشهده الأول حين رفض أن ُيُغسل صدره من الخطيئة.

الحقيقة أن شخصية فتحي في هذا الجزء شخصية لا تسعى إلى إقامة العلاقات بل تنجرف وحسب في أي علاقة متاحة تقع في طريقها كما حدث مع حياة (حين تدعوني امرأة جميلة مثل حياة.. أشعر بالاستسلام. لا مقاومة فكلما دعتني لبيت النداء).

ثم يلقي ضوء رمزيًا خاطفًا على سبب اختلاله النفسي من خلال هذا المنام الذي رآه (بيته في القاهرة/ الجريدة يقرؤها في الحمام/ الخبر المنشور عن الوطن المقتول في أحد الأحياء حافي القدمين وقد سرق قلبه وكليتاه ونُشرت أصابعه/ صراخه غير المسموع/ الناس التي تسير مقطوعة الأذنين واستمرار الحياة على الرغم من ذلك/ شعوره بأنه وحيد/ دخوله المسجد/ بكاؤه على سجادة الصلاة/ رؤيته للشيخ المهاب الذي صلى بجواره دون أن يكلمه، شكره لله الذي نجاه من كل هذا / الكلمة المكتوبة على السحب بأن الله ترك هذا الوطن لأنه زان)

أعطانا الكاتب تقريرا عن حالة فتحي المرضية في منام؛ حنينه لبيته في مصر وعمله كصحفي .. الوطن رآه مقتولا في

ضميره حافي القدمين كما الفقراء فيه ، بلا قلب كما قسوته عليه وعلى شعبه الفقير، منزوع الكليتين.
كما يسرق حياة أهله ويسممها، مبتور الأصابع كما يبتر أصابع كتابه ومبدعيه، صراخه (صوت كتاباته) الذي لا يصل إلى الناس مبتورة الأذنين التي أصابها الصمم وأنهكتها الأعباء وأثقلت كاهلها الحاجة؛ فلم تعد تأبه إلا بأن تسير بهم الحياة والسلام. شعوره الدائم بالوحدة أو فلنقل الاغتراب الذي دفعه إلى الدخول إلى المسجد الذي يمثل نزعته الروحية التي تتملكه إثر كل معصية، ثم الشيخ المهاب الذي ص ل ى بجواره، هذا الشيخ الذي يتمثل له في هلاوسه التي تعتريه في صورة أولياء الله الصالحين، ثم إشارة رمزية صريحة إلى النهاية التي تنتظره وهي الكلمة المكتوبة على السحب (أن الله ترك هذا الوطن لأنه زان) فإن الله الذي نجاه من ظلم الوطن وأكرمه بحياة أخرى في جنة دبي.. تركه هو أي ضا لأنه زان، فإن كان الله قد ترك هذا الوطن لأنه زنا بشعبه زنا نفسيًا، فإن فتحي قد زنا الزنا الأكبر.. زنا الجسد رغم العلامات ورغم نفسه اللوامة التي لم تردعه يومًا عن الانزلاق والسقوط في براثن الشهوة؛ فتركه الله وأعاده إلى الوطن الزاني جزاءً وفاقًا، فانتهى مجذوبًا ربما كما ترك الكاتب نهايته المفتوحة.

تهانى

الصورة المثالية للزوجة المصرية الطيبة، التي تفوح من بيتها رائحة البخور يوم الجمعة ورائحة الدجاج والملوخية وقت الغداء، والتي تشبه كما وصفها فتحي (قط الماو المصري الذي يمتاز بالذكاء والسرعة في التعلم والرشاقة والهدوء)، هذا الذكاء الذي تعرف به كل مرة يأتيها زوجها من أحضان امرأة أخرى وتبدي به غير ما تبطن، بل وتبكي في حضنه حين تهديها عشيقته عطرها في قميصه.

كما أغلب المصريات المحبات لبيوتهن وأزواجهن، المغلوبات على قلوبهن والمطبوعات على الخنوع، والذي أجراه الكاتب على لسانها أثناء إعداد غداء شهي لزوجها الخائن (متى يكف عن الاستهزاء بي وبعقلي وذكائي؟ أنا فاهمة كل شيء، لكن لابد أن أتحملـه لأني أحبه، نعم ذات يوم سيفهم ذات يوم سيشبع من مزاجه النسوي ذات يوم سيعتذر لي لا لا أظن إنه فتحي أعرفه جيدًا ... هل سيقول لي آسف يا تهاني على كل ما فعلته معك سامحيني.. ساعتها سوف أستريح ساعتها سأقف أمامه صامتة ولن أسامحه) ثم.. ثم ماذا؟ ثم تجفف دموعها..(أنا خلصت الفراخ والملوخية) تدعوه لتناول غدائه وعندما يتمنع (تقف تهاني وتطعمه بيديها مرة ملعقة ملوخية ومرة قطعة

دجاج ومرة ملعقة أرز ومرة قطعة خبز صغيرة...) ثم ماذا جنت في النهاية ؟ عادت معه إلى مصر مطرودا من دبي حيث ذاب في الفيض الأعظم كأنه لم يكن، تاركا لها ولدا ومصيرًا مجهولا....

سهر

فاتنة الشام المرأة المعجونة بالياسمين ، زوجة منقذ وعشيقة فتحي، التي تمارس الخيانة بأريحية كأنها ليست خطيئة، فقط لأنها تحب! ولأنها (أحيانا تشتاق إلى فتحي وأحيانا لا تشتاق إلى أحد) ، هذه المرأة التي تعطي للخيانة معن ى مزدوجا..فإذا كانت مع حبيب (فتحي) كانت عاشقة مشتاقة، لا تأخذ ولا تعطي أكثر من لقاءات جنسية مسروقة، وإذا أكُرِهت عليها وتقاضت الثمن مهما كان غاليا - كما أغدق عليها شداد- ازدرت نفسها وشعرت بوطأة الخطيئة (يا ويلي يا ويلي .. أصبحتي قحبة يا بنت سالم يا ويلي) لكنها قبل كل هذا لم تنس وهي تجمع أغراضها من بيته أن تأخذ مفتاح سيارتها الجديدة!!

تعاظم شعور سهر بالخطيئة عندما مارستها على غير رضا حتى أنها تركت دبي وسافرت وراء شهرزاد - تلك المرأة التي وصفتها سهر بأنها (أطهر من ماء الجنة) إلى الشام لتتطهر

من خطيئتها ربما، كما خاطئ يقر بالذنب ويطلب الصفح من الله بسماع كاهن، كانت تصرخ (اضربينى يا خالتي اضربيني أنا جئت إليك لتضربيني اضربيني مرة أخرى .. أنا خطية .. أنا خطية)، لكنها لم تنس قبل أن تعود إلى دبي أن تتصل بشداد ليدور بينهما هذا الحوار:

(فى الشام افتح الفاكس ببعت لك صورة جواز أبي وأخي أعملهم فيزا

عاجلة لمدة ٣ شهور

- حاضر .
- واحجز لهم تذاكر من دمشق إلى دبي رايح جاي لمدة سنة مفتوحة
- وارسل لي رقم الحجز - أبعثه على فين ؟
- على رقم الفاكس اللي عندك..!!!!)

ثم تطالعنا نفس ازدواجية فكرة الجنس لدى مارينا الخادمة ، (لم تكن مارينا غانية أرسلها زوجها من الفلبين لتعمل ولم تقل إنها متزوجة جاءت بأحلامها إلى بلاد النفط لم تنم فى أحضان رجل رغم كمية التحرش التى تتعرض لها في كل يوم بلا خجل .. تقاوم رغباتها الجنسية ولم لا فالجنس سر الحياة)

وهي على الرغم من ذلك مارست الجنس مع سيدها بنفس الأريحية التي مارست به ربتها الجنس مع عشيقها فتحي (كانت فرحة مع سيدها لأنها بمزاجها)، فعلت لا من أجل المال ولا بالإكراه، ومن نفس الوجهة التي شعرت بها سهر بالسقوط مع شداد عندما بكت مارينا حين أعطاها منقذ المال (قام وأخرج محفظته وأخرج ورقة فئة ٥٥٠ درهما وقدمها لها صرخت فى وجهه :

- نو بابا أنا لست عاهرة أنا أحبك
- ظلت تبكي بحرقة فضمها إلى صدره وهى تبكي)

أليس من الغريب أنت تتطابق ازدواجية الخادمة وربتها في فكرة الخيانة والجنس؟!

منقذ

الشخص الجبان، غير القادر على المواجهة رغم يقينه من خيانة زوجته مع صديقة الجبان أي ضا. منقذ الذي هزمه واستعبده حب الجمال وكلام الناس وحسدهم إياه على زواجه من تلك المرأة الساحرة المعجونة بالياسمين، صمت وذل العبيد؛ فالحر لا يسكت ولا يقبل الخيانة ولو وزن من خانه بالذهب. كلاهما جبان فلا أحدا منهم قادر على المواجهة لا بالاتهام المباشر ولا بالاعتراف، لذا كان الكاتب موفقا عندما

جعل التشبيه السائد في هذا اللقاء هو الفئران المذعورة، وربما كان جبن فتحي مبررًا إذ إنه سارق.. سارق عِرض ومن الطبيعي أن يجبن اللص، أما منقذ فلا مبرر لجبنه غير كونه مجبولا على الخنوع والدونية التي غالبا ما كان لسهر اليد الطولى في زرع الشعور بالنقص والدونية في صدره، هذا الشعور الذي جعله يجد راحته ولذته وكيانه ورجولته وذكورته في علاقته الجنسية بالخادمة أثناء غياب سهر (لأول مرة يقف منتصبا دون محفز أو مثير دون خوف .. دون تفكير .. جذبها من يدها إلى غرفة النوم ... حين نامت معه مارينا شعر بأنه ذكر لم تنجبه البشرية .. شعر بنشوة غريبة لم يعهدها من قبل .. حين إنتهى من الجماع ذهب إلى الحمام لحقت به بالفوطة والشامبو وأخذت تحميه بيديها الناعمتين وتدلك جسمه .. لم تفعل معه سهر هذا من قبل شدها وعاد للفراش مرة أخرى شعر أنه مراهق أو أسد قوى.

وعاش لحظات بسيطة دون احتجاجات سهر عليه بالصائب والخائب ونام فى أحضانها لم يفكر بالاتصال بسهر ولا بالسؤال عنها.. لم ينتبه لهذا ..

لذلك فقد غرق فى بحر لذة من نوع آخر (لذة الشعور بسطوته كرجل على امرأة).

يظهر البون الشاسع في رد الفعل تجاه الشعور بالخيانة بين سهر ومنقذ ، فلم تجبن سهر –الخائنة – ولم تستحِ أن تواجه زوجها بخيانته بل صرخت في وجهه وكالت له الإهانات وعيرته بأصله وفضل أصلها عليه :

(الآن لن أطردها حتى تعيش مع الخدم هم مستواك المتدني . أنت الخدم مستواك تليق بك الخادمات.. أنا أميرة تزوجتنى خطأ.. غلطة أبي وغلطتى . سامع).

ثم واتت منقذ الفرصة ناصعة جلية لينتقم من سهر ويرد كبرياءه وكرامته المهدرة التي تبعترها سهر أنى شاءت حين رن هاتفها وسمع صوت فتحي عشيقها: (سهر أنت فين يا حبيبتي؟ وحشانى عاوز أكلمك وأشوفك ضروري ؟ أنت فين غايبة بكلمك الفجر وتهاني نايمة؟)

وهنا لم يصمت منقذ واجهها حكى لها، وبجبروت فاجرة اعتادت الخيانة كسرت الهاتف وقالت:

(أنت مجنون وخائن وأنا ضبطتك وتريد إلصاق التهمة بي لن أسمح لك. تحول الخيانة منك لي ؟

- إنه فتحي نسيت أن أخبرك أنني فتحت الهاتف وسمعته يصرخ سهر فينك وحشاني
- أنت مريض بفتحي وظنك بفتحي
- وبعد

- إما تطلقني أو تهجرني وتتركني فى حالي)
ثم ماذا؟ ماذا فعل منقذ؟..هز رأسه وسكت!!!!!
وردة وكاظم:
كاظم وعلاقته ببورد؛ الصورة المعكوسة لعلاقة سهر ومنقذ؛ فكاظم المتعالي على وردة الكاره لأخيها وعائلتها وماضيهم، الذي لا يشعر بذكورته في علاقته بها، أحد العاشقين القدامى لسهر، والهارب من خيبته الغرامية القديمة وزيجته الرتيبة إلى علاقته بالفرنسية ليزا إحدى المعلماتالأجنبيات في مدرسة شداد حيث يعمل، والذي ما إن لاحت له فرصةالتخلص من حياته مع وردة حتى فر مع عشيقته إلى غربة ثانية دون أن يلتفت، كأي عربي نذل. قد تبدو حكاية ورد وكاظم تفاصيل زائدة على الرواية غير مؤثرة في الأحداث، غير أنها من الحكايا والقضايا التي تشيع حدوثها في بلادنا العربية لا سيما في الغربة .
راغب وشداد:
شخصيات مطبوعة على حب الشهوات والاستمتاع بملذات الحياة تحركها قوة المال ونفوذه وسطوته القاهرة اللذان وجدا طرقهما في دبي بلد الثراء والاستثمار. يبدو أن رجلان بلا قلب؛ فحتى اللمحة الإنسانية التي بدا عليها شداد حين أعطى الجرسون الهندي خمسين درهما ليشتري بها حذاء لم تكن

بدافع الإنسانية أو الإشفاق أو حتى بنية صدقة الغني على الفقير، بل كانت لها مرجعية نفسية؛ لمعاناته الفقر والحفاء مع والده البخيل، وحلمه بأن يرتدي زي بحار ويشتري أغلى حذاء في العالم، فقد كان شداد كارها لكل مظاهر الفقر وما يدل عليه، رجل يعلم جيدا قوة المال وقدرته على استدراج أي صيد يشاء إلى حبائله بمنتهى السلاسة والأريحية، لكننا على أية حال لا يمكننا أن نصمه بأنه شيطان يسير على قدمين؛ فلم يكن من حوله ملائكة، ولا صيوده قديسين؛ فليس غريبا أن يدير خاتم الذهب رأس سهرعشيقة فتحي فتتبع شداد بسيارتها إلى سوق الذهب وتقبل هديته الثمينة ثم المرسيدس الرمادية الميتالك الفارهة ثم... يسير كل شيء كما رتب له تماما..، حتى شرائه لمنقذ بالعمل والراتب المغري لإلهائه عن سهر عن طريق إدخاله في دوامة من العمل المتواصل وجمع المال تم بيسر ونجاح.

أما راغب فلا يختلف عن شداد كثيرا وإن لم يعش مثله فقرا مدق عا وحرما نا ربما ،لكنه كما شداد رجل بلا قلب لا يرى غير سطوة المال وسلطته؛ أليس هو من غلب حزن أخته بشراكتها في المدرسة وبراتب كبير وشقة جديدة مقابل أن تعتبر زوجها الهارب ميتا!؟

حياة

الفاتنة العراقية الصحفية المتحررة (أشتهيك وانتهى الأمر وتنسى ما حدث هنا) حديثها الفج الصريح عن الجنس (أحب شابا سوريا في لندن/ هذا زمن النساء لا تكتفي برجل واحد/ رجل للحب ورجل للزواج ورجل للصداقة البريئة ورجل للجنس) مثال صارخ للشخصية الوجودية الانحلالية التي تعيش في بلد غريب.

وهي من الشخصيات التي تزيد تفاصيل الرواية وتسهم في تأكيد نزعة فتحي للانسياق التام وراء شهواته بلا ضابط ولا سبب ولا شعور، ولا حتى رده وازعه الديني الروحاني الذي ينتابه؛ إذ ساقته نفسه إلى الغواية عقب صلاة الجمعة مرددا" وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء" هكذا!!! وكأن هذا الاجتراء قد طاردته لعنته فمنذ ذلك اليوم بدأت النهاية.

فشخصية حياة في الرواية جاءت لتسلب فتحي كل حججه للانزلاق في براثن الغواية إلا لأنه يملك نفسا ساقطة بطبعها، كما كانت حكايته معها آخر حكاياه الشبقية إذ انتهى بعدها مطرودا إلى مصر مكرها على العودة وكأن حيا ة كانت نذير شؤم ومزلقته الأخيرة إلى الهاوية.

شهرزاد وحامد الصقر

هذان الزوجان الطيبان الذي غلب أصلهما الطيب مغريات الحياة والمال في جنة دبي، وكأنهما كل ما بقي من طيف الحكمة في عالم الجنون أو قطرات من الشهد في أيام العلقم. فشهرزاد تلك الأم الحنون الناصحة، التي تحمل عاطفة جارفة من الحنان والأمومة تجاه سهر وورد حرمها منها العقم فلم تنجب أولادا ،والتي تحن لوطنها وبيتها في الجبل، ترفض جنة دبي بكل زينتها وملذاتها، وتعود إلى وطنها حال ما أدركت أن البنتين لم تعودا بنتيهاالصغيرتين، وأنه أصبح لكل منهما حياتها التي تريد أن تحياها بهواهابعي دا عن كنفها ونصحها، وكأن كل ما كان يربطها بدبي عاطفة الأمومة تجاه سهر ووردة، فعادت إلى الوطن بفقره وأوجاعه وبيتها في الجبل تروي عطشها ال ن زق إلى الأمومة والعطاء.

أسلوب الكاتب

للكاتب ثقافة دينية واسعة يوزعها على أبطال روايته بدرجات متفاوتة كل حسب طبيعة شخصيته؛ تظهر بجلاء في المنولوج الداخلي للشخصيات الذي يكشف به عن دواخل الشخصية وعالمها الروحي من ناحية، ومن ناحية أخرى يستغله الكاتب في ممارسة نوع من الكتابة الإبداعية الممتعة حين يتمادى

في طرح التساؤلات التي تنثال على خاطره من خلال الشخصية التي يجري فيها حديث النفس.
وعلى الرغم من سيطرة الجنس والشهوة على عالم الرواية نجح الكاتب في ألا يكون أسلوبه ومفرداته شهوانية أو شبقية... فلم يخض في شرح تفاصيل العلاقة الجسدية؛ إذ إنها ليست تضيف إلى نص الرواية تفصيلا مهما سوى أنها حدثت والسلام. فكان يكتفي بالإشارة إليها بصيغة خبرية عادية كمن يخبرنا عن تناول البطل لفطوره أو ذهابه إلى العمل دون أن يفقدها وهج الإثارة وتأثيرها على الأبطال وليس على شعور المتلقي.

تساؤلات حول الرواية

١- حول العنوان (لو لم أعشقها): الحقيقة لم أجد صدى قويًا للعنوان في الرواية كما يوحي به اسمها بالمعنى المعروف المباشر ولا بالتصريف المتعسف له؛ إذ إن الرواية تخلو من العشق اللهم إلا عشق الشهوة الحسية أو المال، أو ربما على تأويل شديد التعسف يمكن صرفه إلى الوطن الذي لم يطف بخاطر أي من أبطال الرواية إلا بفتحي و شهرزاد. فأما عن فتحي فصورة الوطن المختزنة في عقله الباطن والتي يراها في كوابيسه هي صورة جثة عفنة كما وضحت أكثر في كابوسه الثاني الذي ورد في العلامة التاسعة (اقتربت أكثر فأكثر وجدتها جثة الوطن ممددة ورائحة نتنة تنبعث من قدميه التي بلا جورب وحذاؤه قديم مستهلك ملقى بجواره يشبه ذلك الحذاء العسكرى الضخم) هذا الوطن الذي عاد إليه مغصوبا مطرودا من جنة دبي على كراهة منه فلم تكن عودته عودة عاشق مشتاق بل مضطرا مزدريًا (لا وظيفة لك هنا لا مكان لك هنا، راحت أيام دبي وأفخر المطاعم ومطعم الحلبي وكمبنسكي . وعاد إلى مقهى البستان بقذارته والقزاز المطعم الشبه فاخر بجواره وعاطف الجرسون وعم أحمد وكتاب محبطون من الوطن

وخرتيه معهم السواح ينصبون عليهم وطلبة هاربون من الدروس الخصوصية)

أما شهرزاد فلست أظن أن عشق الوطن أو الأمومة أو الخير أو غيرهم قضيتها المعنية في عنوان الرواية، وإن كانت العاشقة الناصعة الوحيدة فيها.

٢- عنونة الفصول بالعلامات وعنواناتها التي لا تختلف كثيرا عند تأويلها وربطها بأحداث المشاهد عن عنوان الرواية في كونها لا ترتبط بصلب الأحداث إن وجد رابط من الأساس.

٣- تذييل العلامة أو الفصل بآيات من كتاب الله وتوزيعها على ثلاثين علامة بعدد أجزاء المصحف ومن رقم الجزء ذاته بحيث أولاً تفتقد إلى الربط بالأحداث على أي سبيل، بالإضافة إلى أنه في تقديري لا يليق بآيات الله أن نتصرف بها لمجرد هيكلة سردية دون أن يكون لها أثر لافت.

٤- التعريفات المختلفة للحب تحت عنوان (روح) في بداية كل علامة لم تصل بي إلى علاقة مباشرة مع النص غير أنها ربما تصنع المقابلة بين العفة والدنس.

٥- إيراد مشاهد من الروايات العالمية المترجمة في بداية كل علامة أو فصل خلقت نوع من الارتباك والتشتت لا سيما أنها مشاهد من روايات مختلفة وليست رواية متصلة.

ربما ترجع الفكرة إلى بعض كتب التراث التي نجد على هوامش الكتاب الأصل كتابًا آخرا ؛ كان يلجأ الكتاب والوراقون لهذه الفكرة قديمًا لأسباب خاصة بصناعة الورق فيفوز القارئ بمطالعة كتابين.

تمت

وما توفيقي إلا بالله

هويدا رجب موسى السيد

السيرة الذاتية



الاسم: هويدا رجب موسى السيد

الجنسية: مصرية

المؤهلات:

- ليسانس آداب من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة الإسكندرية بتقدير عام جيد (٢٠١٤م).
- ماجستير في اللغة العربية / شعبة الدراسات النقدية والأدبية(٢٠٢٠م).
- باحثة في مرحلة الدكتوراه.

الدورات:

- دورة تصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة في رسائل الماجستير والدكتوراه، في الفترة من الثاني من نوفمبر ٢٠١٦م إلى السابع من فبراير ٢٠١٧م بواقع (ست عشرة) ساعة تدريبية.

الخبرات السابقة:

- العمل في التدقيق اللغوي للمقالات والنصوص والرسائل الجامعية.

المعلن والمضمر في الحب بين التقديس والتدنيس عند السيد حافظ رواية " لو لم أعشقها " أنموذجا

بقلم أ. أسمهان سعودي
الجزائر



إن الثنائية المتقابلة " الحب المقدس والحب المدنس " قائمة على مبدأين متناقضين يتحكمان في نسيج النص كله ، و هما مبدأ الاتصال و الانفصال و من الملاحظ أن تيمة الحب تحتوي على صفات خاصة و متناقضة ومتضادة في نفس الوقت عما يحمله المتلقي في ذهنه ؛ فهو ليس تلك الصفات الإنسانية التي تقوي روابط الصداقة و الأخوة و حب الله و رسوله و حب الوطن فقط ؛ بل هو أيضًا في شكله المدنس المتمثل في حب المال الحرام و حب السلطة القاهرة و الحب الحرام و اللهث وراء جسد المرأة.

فليس الحب بنوعيه المتضادين سوى جسرين موصلين لمعرفة طبيعة نظام الحياة الاجتماعية. فالفضاء الروائي عالم خصب تتداخل فيه الحقائق بالخيال، ليضع بذلك عالما فسيحا يعبر عن قيم إنسانية تضرب جذورها في عمق الحقيقة الإنسانية سواء ما صرح بها السيد حافظ أو أضمرها.

قراءة في عنوان " لو لم أعشقها"

بما أن العنوان هو أول عتبة تبث شيفرة للمتلقي فإنّه يتوجب تتبع دلالاته و فك طلاسمه الرامزة ؛ ومن هنا حظيت العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية.

فالعنوان لا يوضع هكذا عبثا أو اعتباطا ؛ حيث يجهد الكاتب نفسه في اختيار عنوان يلائم مضمون كتابه لاعتبارات فنية جمالية و نفسية ؛ إذ يتعدى كونه مجرد اسم يدل على العمل الأدبي و يحدد هويته و يكرس انتماءه لجنس من الأجناس الأدبية، كما تتجلى أهمية العنوان في ما يثيره من تساؤلات مبهمة و غامضة لا تتكشف لدينا إلا مع نهاية العمل.

"لو لم اعشقها" عنوان صادم وضعه السيد حافظ ليمارس به نوعا من الإيهام و التضليل عند المتلقي ، فعندما نسقط العنوان على المتن يتبين لنا للوهلة الأولى أنه يوحي لإحدى عشيقات بطل الرواية، و لكن الحقيقة عكس ذلك فعند سبر أغوار المتن و تشعباته الوعرة نتأكد من أن العشق الذي صبّ في العنوان ؛ هو عشق السيد حافظ لمصر الذي طالما قال عنها :" عشقت مصر و هي لم تعشقني" ، فهو يجاهد بقلمه من اجلها و في اجل الوطن العربي ككل - لايمانه بالحب المقدس فبعد حب الله و رسوله يأتي حب الوطن كعشق مقدس يفدى بالنفس و النفيس.

حب الوطن :

حب الوطن، هو ذلك الإحساس الخفي الذي يحركنا للتعلق به، و الإحساس بالانتماء له مهما بعدت بنا المسافات، وهو شعور فطري ينمو و يكبر مع تقدمنا بالعمر و إحساسنا بأنّ لا شيء يضاهي دفء الأرض التي خلقنا من ترابها فمهما رأينا و أحببنا من بلاد يبقى لوطننا مكانته الخاصة لأنه حب تناقلناه من الأجداد إلى الإباء إلى الأبناء؛ فاستقر في قلوبنا ولا يزال يكبر، لأنّ حب الوطن لم يأتي من العدم فلولا الوطن لما شعرنا يوما بمعنى الاستقرار والأمان فهو الملجأ من كل ما يضرنا وهو المكان الذي لو عملنا ليلا نهارا من اجله لما استطعنا ايفاءه حقه ، وهو الكيان الذي يستحق منا العمل لا القول فقط.

فالفرد الصالح هو من يعبر عن حبه لوطنه بالدفاع عنه في كل حين ،حتى لو كان ذلك بالقلم حتى و إن جار عليه مثلما فعل السيد الحافظ في صرح روايته" لو لم اعشقها" فبها يجاهد في سبيل وطنه الصغير والكبير - بداية من شخصية الصحفي فتحي رضوان التي لم تقتصر صفاتها تلك المتمثلة في الزنا و الخيانة الزوجية بل جاءت مغايرة في الوجه الأخر لشخصيته أين يذوب عشقا في وطنه و يحمل همومه و لم يخنه، و يظهر ذلك في الرواية نحو ما يلي : " تزني بالنساء و لكنك لا تزن بأفكار الناس البسطاء ولا تنافق المسؤولين

في الأوطان و غير الأوطان "[١]. لكن هاته الشخصية أضمرت في البداية حبها و أظهرت خوفها من العودة إليه لأنها شخصية مهاجرة جسدا لا روحا تعيش في دبي بكل حرية و ديمقراطية عكس ما تخافه في وطنها " لا تعرفين يا تهاني معنى وجع الروح لرجل بسيط مثلي تقولين بكل بساطة نرجع لمصر هل مصر وطن أم كفن أم سكن أم الثلاثة معا ـ هل للوطنية بطاقة شخصية هل للشرفاء أي سكن على هذه الأرض التي تسمى مصر"[٢].

يبدو الوطن من خلال هذه العبارة قاسيا و مدمرا لإنسانية مواطنه إذ يمارس ضده أبشع أنواع الاغتراب والعزلة والتهجير والتهميش " أين ستذهب يا ابن رضوان ؟ ـ إلى مصر حيث ينتظرك الغالبية من المثقفين يحملون خناجرهم ليغتالوك مثلما اغتالوا محمود دياب و نجيب سرور و يحيى الطاهر عبد الله و محمد حافظ رجب و قائمة طويلة من مبدعين و مبدعات ، قتلوا قبلك من الحسد و التهميش و التجاهل و الإشاعات "[٣]. ثمة جدل قاس مزق صورة الوطن و شطرها في ذاكرة البطل " أنا ذو الوطنين مصر التي تهينني كل لحظة... مصر التي ذاكرتها مثقوبة وخيراتها منهوبة ووطن ثان كان في حلمي ليس له عنوان... ظللت في مصر وأصبحت

وطنا سجنًا قهرًا تجاهلًا "(٤). فالوطن هنا يقابل فتحي بقناعه القبيح.

لذا جاز لنا القول أن ما يضمره الخطاب السردي في هذه الرواية هو حقيقة التمزقات الدامية التي يعاني منها الوطن العربي والتي لامسها السيدحافظ بروحه قبل قلمه فراح يصف لنا التشققات والانقسامات داخل الوطن العربي حتى ولم تكن على الخارطة فيقول : " ذهبت إلى ليبيا وجدتها قسمت إلى ثلاث دول؛ فذهبت إلى الجزائر وجدتها أيضًا قسمت إلى ثلاث دول فرانكفونية ودولة امازيغية ودولة إسلامية عربية، ذهبت إلى المغرب وتونس قسمت إلى ثلاث دول أيضًا مثل الجزائر ذهبت إلى السعودية وجدتها قسمت إلى خمس دول وسوريا إلى ثلاث دول ... والسودان إلى ثلاث دول "(٥) فالتعمق في هذه التمزقات والاضطرابات وحالات الانفلات الأمني والقلق الجماعي نجده في مقدمة الأسباب كظاهرة التفاوت الاجتماعي بسبب العدالة غير الموزعة بالتساوي وذلك ناتج عن خلل في مقدرة السلطة ، وضعف النظم السياسية واحتكار السلطة وتغييب مؤسسات الدولة، وغياب الديمقراطية ومفهوم المواطنة كقيمة وممارسة.

إن قناع الكاتب الأقرب لوجهه في شخصيات الرواية هو شخصية الصحفي فتحي رضوان فالذي رغم ما عاناه من

وطنه إلا أنّ حبه لمصر يزداد في كل حين وتحزن روحه إذا أصابها مكروه "يا قوم... يا قوم... الوطن قد مات وسرقوا قلبه وكليته ونشرت أصابع يده...صحت مرة... مرتين... ثلاث نزلت للشارع وجدت كل الناس تسير مقطوعة الآذان والمرور يسير ويتعاملون بصياح صامت كأنه لغة إشارة خاصة بهم، أدركت لحظتها أنني وحيد"[٦]. فالأذان المقطوعة رمز لغياب الوعي والصياح الصامت كأنه لغة إشارة رمز لكبح حرية التعبير.

تتناسخ الرواية في حكايتها إلى أطوار متسلسلة تتجلى عبرها شخصية فتحي رضوان يرسمها السيد حافظ بإتقان "اقتربت أكثر فأكثر وجدتها جثة الوطن ممددة ورائحة نتنة تنبعث من قدميه التي بلا جورب وحذاؤه قديم مستهلك ملقى بجواره يشبه ذلك الحذاء العسكري الضخم... يا قوم يا ناس يا اهلي هذا الوطن الذي تدوسون على جثته النتنة ارجوكم ادفنوه في مقبرة تليق به فقد كنا نعيش فيه ذات يوم أكرموا مثواه"[٧]. فيفيض عليها ما يعكس هموم الوطن المضمرة في السرد الحكائي فهو مدرك تمام الإدراك لما يحدث في مجتمعه المصري وجل المجتمعات العربية مما يشكل لديه مخزونا سياسيا واجتماعيا وحتى نفسيا.

حينما يتنقل القارئ بين فصول الرواية ومقاطعها يجد في أعماقها عدة حقائق وقضايا نعايشها يوميا ، ومن بينها قضية الحب ؛ فمن عيوب مجتمعنا انه ربط مصطلح الحب بالجنس، الأول عفة والثاني شهوة - بيد أنّ الحب تواصل روحي قبل أن يكون جسدي.

الحب المدنس:

حب الجنس: لو تصفحنا رواية لو لم اعشقها لوجدنا أن تيمة الجنس قد احتلت مكانا بارزا ضمن هذا الفضاء السردي الذي حاول السيد حافظ من خلاله تعرية الواقع المتشظي الذي ظل لوقت كبير مسكوت عنه حبيس الطابو في غرفة المسكوت عنه، فهذه الرواية تطرقت إلى العلاقات التي تجمع الرجل بالمرأة في إطارها المسموح والممنوع ،ومن هنا نلمس عدة مطاردات للحب المستحيل مما أدى بأبطال روايتنا إلى الوقوع في الخيانات الزوجية بالجملة.

فالصحفي فتحي رضوان لم يفلح في التمتع بحبه المسموح مع زوجته تهاني وفي نفس الوقت لم يظفر بحبه الغائب رغم تمتعه به مع سهر وحياة " أنت متزوج وتعشق امرأة أخرى متزوجة وتغازل أخرى ثالثة".[٨] يستغل جسد الأنثى باعتباره الفضاء المحقق للذة الذكورة أين جعل الخيانة الزوجية فسحة لتلبية الحاجات الجنسية بنكهات مختلفة، فليزا تلك الفاكهة

الاستوائية النادرة حقق معها كاظم فعل الخيانة ضد زوجته وردة "معلق كاظم بليزا ليس بقلبه فقط بل بروحه وجسده الذي تعود على ملامسة الجسد الأبيض ذي الشعر الصغير الذهبي الذي يختفي في ثنايا الجلد كأنها خلقت من عرق ذهب تحت الجليد"[٩]. وعليه فالجسد الانثوي هنا هو المحرك الأول للأحداث حيث عكس العوالم الداخلية واللاواعية التي سعى السيد حافظ إلى تفجيرها ضمن المتخيل السردي؛ فالعفة والفضيلة تتحقق وفق شروط متعددة من أبرزها الإيمان بالله سلوكيا ، ونلمس عكس هذا عند شخصية حياة التي استدرجت فتحي رضوان وغوته ومارست معه الرذيلة ثم قالت "اسمع يا فتحي أنا سيدة فاضلة لكن أنا منذ خمسة أشهر لم أمارس ... أنا بشر واخترتك لأنك مميز وتنسى وستنسى أنك قابلتني".[١٠] وهنا نصطدم بمفهوم العملية الجنسية والمتمثلة في إشباع الغرائز والتنفيس عن مجموع المكبوتات مع العلم أن العلاقات الجسدية كبيرة من الكبائر.

إذا فالعفة والفضيلة التي تتظاهر بها حياة ما هي إلا وقت حائل وانه لابد من مواجهة هذا النفاق وبالتالي كسر القيود.

تمثل الطرح الجنسي في الرواية عن طريق وصف المشاهد التي تحيلنا للممارسات الجنسية "في غرفة النوم جلسنا على السرير عرايا... قامت سحبت ملاءة السرير وغطت جسدها

العاري وتركتني عاريا في السرير ... كنت عاريا في سرير حياة بلا حياء"[١١].

برزت المرأة في هذه الرواية كسلطة جنسية وذلك من خلال وصف مفاتنها ووضعياتها المختلفة وقت الممارسة، ولعل السبب الرئيس في تفشي الزنا والرذيلة في المجتمع يعود لتمسك الرجل بسلطته الذكورية التي تعجز المرأة وتضعف أمامها "دخلت الغرفة خلفها... ضممتها تملصت مرة ومرة ومرتين ثم استسلمت.. ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى"[١٢].

لم تقتصر شخصية راغب على صفتها الزانية تلك، حيث ظهرت في الرواية نحو ما يلي "ذنب زهرة أنها جميلة ومصيبتها أنك جريت وراءها... انا أحببتها... أنت لا تحب... أنت قتلت قاسم زوجها ودفنته... فساعة الجريمة ساعة الزنا... أنا لم أكن قاتلا... كنت عاشقا لامرأة... لست الرجل الوحيد الذي اشتهى امرأة متزوجة... دائما نطمع في نساء لرجال آخرين أتى إلى البيت في وقت غير مناسب لم يسكت الغبي"[١٣]. ويصرح راغب عن مكنونه المتدني الذي ورثه عن أبيه عندما قال لأخته وردة "أنا رجل مريض بعشق الجنس وأبوك كذلك"[١٤]. وهذا القول يقودنا دون تخمين إلى قوله تعالى: "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا". فالعقلية العربية متزمتة ترى من الجنس أكبر هواجسها لما

تحمله من تردي للأخلاق. فقد أنعم الله تعالى على الرجل حق التمتع بأكثر من امرأة لكن في الإطار الشرعي وهو الزواج لأن الزنا يؤدي إلى اختلاط الأنساب، وفيه أذى وضياع لحقوق البشرية.

حب السلطة والتسلط:

حب السلطة فعل ناتج عن رغبات دفينة في تعويض النقائص والتجارب الفاشلة في شتى المجالات وهذا ما يسمى في التحليل النفسي بميكانيزم التعويض عن الفشل ، ويتعزز هذا الإحساس بتسلط الخوف على الفرد خاصة من التجارب الفاشلة المتكررة، وقد يتحول إلى رهاب اجتماعي على حسب الفرد وعاطفته؛ كما انه يتطور حسب الحيز البيئي خاصة عندما يتواجد في بيئة متعفنة فكريا ومتفككة أخلاقيا وقيميا، ومن صفات الفرد المتسلط شكه المفتوح في كل شيء وسوء ظنه بمن حوله ، ويمكن أن في شخصية راغب الذي تصعب محاورته واستحالة إقناعه بالحقيقة:" انتم لستم إلا لصوص وإقطاعيون واستوليتم على السلطة في القرية بعد أن قبلتم حذاء حافظ الأسد... وكمان بتسب الزعيم يا حيوان"(١٥). حيث يقول مصطفى حجازي في كتابه "سيكيولوجية الإنسان المقهور"، الإنسان المقهور قد يتحول إلى شخصية قاهرة

متسلطة وأمر بديهي أن يفجر ويحول قهره السابق إلى سلوكات وانفعالات عنيفة.

غواية المال:

هذا الخطاب السردي ليس علامة ثقافية وفقط؛ إنما يشكل لنا قراءة تسبح ضد التيار، وتثير في أذهان المتلقي عدة تساؤلات تسلط الضوء على مناطق مسكوت عنها في واقعنا .

فمن التيمات البارزة في نص رواية" لو لم اعشقها" تيمة المجتمع المتيم بالمال إذ تغدو لغة المال وفلسفته هي الغاية والهدف الأسمى "الثعلب الأحمر الذي تعود على ان يأكل أي نوع من الغذاء المتوافر من بقايا طعام الحيوانات والقمامة والدواجن، فشداد مثله يأكل أموال كل الناس فقراء وأغنياء ويشتهي كل النساء مطلقات، أرامل صغيرات، مراهقات أو حتى عجائز جميلات قبيحات فقيرات ثريات"(١٦). فالمال يد تمسك بعض العلاقات التي بين بعض أبطال الرواية "في احد الممرات يسير شداد وبجواره راغب كأنهما في جولة تفقدية كأنه يغويه أو يود الاستيلاء على أموال راغب بحيلة ناعمة تمكنه من الاستمرار في دبي بحر هادر من المال والاعمال ... نقود تجيء ونقود تذهب"(١٧). ويتقرب شداد من مهرته الشامية سهر راح يغريها ويجذبها نحوه بطرق غير مباشرة خاصة وانها راغبة في المال والثراء فهي في بلاد الثراء

والأحلام دبي "اعمل عقد عمل بأعلى مرتب للمدرسات وجهزوا المدرسة الجديدة"، "بعد أسبوعين نفتتح معرض السيارات تعالي اختاري أي سيارة من أي نوع"(١٨). فالركض وراء المال والخوف من فقده الصورة الأبهى للخراب الروحي، لم يمنحهم المال خلاصا او حتى محاولة الغوص في غمار الطمأنينة والسلام النفسي او التصالح مع الذات قبل الآخر بل دفع بهم نحو دوامة الخيانة المتكررة والطمع.

المتلقي لرواية "لو لم اعشقها" يجد الحديث عن السياسة منمق بشكل غير صريح؛ فراح السيد حافظ يرميها في حضن تيمة المال "كانت فوائد قروض البنوك بدت تطارد شداد في دبي الرأسمالية، نظام حقير لا يرحم المديون"(١٩). فهذه صورة مدققة لنظام الحكم السياسي في ذلك البلد، وساهم هذا في تدفق وتسلسل عدة أحداث وحقائق واقعية فأصحاب المال هم أصحاب النفوذ.

خاتمة

السيد حافظ كاتب وروائي عظيم ومبدع بامتياز لأنه استطاع بفكره المتفرد أن يبدع فنا جميلا ، يحمل في طياته أحزان وطنه وكافة الأمة العربية ، محاولا معالجتها بطريقة فنية فاستطاع بهذه الرواية أن يفك الحصار عن موضوع الحب بين المقّدس والمدنّس؛ ففرض الصوت ورفع الستار عن الانتهاكات والخيانات وتصدى لها بقلمه معلنا تحديه واختراقه للطابوهات السائدة في مجتمعنا العربي.

هوامش المقال :

١- السيد حافظ : لو لم أعشقها (العلامة السابعة والأخيرة)، العنوان للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠١٩، ص٦٦.
٢- المرجع نفسه، ص٣٧.
٣- المرجع نفسه، ص٢٧.
٤- المرجع نفسه، ص٣٤.
٥- المرجع نفسه، ص٧٦.
٦- المرجع نفسه، ص٢٢.
٧- المرجع نفسه، ص٧٥.
٨- المرجع نفسه، ص٦٠.
٩- المرجع نفسه، ص٤٢.

١٠- المرجع نفسه، ص٦١.
١١- المرجع نفسه، ص٦٠/٦١.
١٢- المرجع نفسه، ص٦٠.
١٣- المرجع نفسه، ص٤٥.
١٤- لمرجع نفسه، ص٤٦.
١٥- المرجع نفسه، ص١٠٨.
١٦- المرجع نفسه، ص٤٢.
١٧- المرجع نفسه، ص٦٨.
١٨- المرجع نفسه، ص٦٨/٨٦.

السيرةالذاتية
الباحثة : أسمهان سعودى

تاريخ الميلاد ١٣/١٢/١٩٩٤

الليسانس : دراسات أدبية

المذكرة : الزمان و المكان في روايه قدس الله سري لمحمد الامين بن ربيع

الماستر : أدب عربي حديث و معاصر.. المذكره بعنوان :

"ثنائية المخاتلة بين النص الغائب و الصوره الذهنيه في مسرح السيد حافظ حكاية الفلاح عبد المطيع أنموذجًا"

مرجعية الأهواء وانزياحات الصورة النمطية

بين الحب المقدّس والمدنّس في رواية " لو لم أعشقها " للسيد حافظ

بقلم : سناء نويوه

الجزائر



يناوش خطاب المسكوت عنه ما هو مباح ومصرح به ومشروع الافهام؛ فيختط قطيعته مع مختلف المنظومات القيمية والأخلاقية والدينية وحتى الثقافية الراسخة في المجتمع ومخياله، ليحدث انزياحا يعيد رسم الصورة النمطية الجاهزة عن عديد المفاهيم المتداولة فتظهر في صورة تحول عن مفاهيمها القائمة في الأذهان، حيث تضعنا رواية (لو لم أعشقها) أمام زخم من الأحداث المتداخلة والمتضاربة حد الاستفزاز ، أحداث شبيهة بالعقد تجعل القارئ عاجزا عن التمييز بين الواقعي والمتخيل، يمسك الكاتب جيدا بخيوط اللعبة، لكن رهانه هو أن يوقّع القارئ في فخ الحيرة والتساؤل الدائم، هذا النص الذي أراده صاحبه شركا حقيقيا ، كما يمارس السيد حافظ القطيعة الصورية مع الخطاب المقدّس المتعلّق بنوع العلاقة مع الله ومع البشر في مخيال فتحي رضوان حيث كان الله والحب

الصوفي لله تعبيرا ميتافيزيقيا عن الحب، وما النساء إلا تجسيد مادي لمفهوم الحب عنده وعند باقي الرجال في الرواية. لهذا ففتحي عاش تناقضا مع نفسه وفي الوقت ذاته لم يجد تناقضا في أن يكون المرء مؤمنا ومغرما بالجنس في آن واحد .

يقوم هذا الخطاب في هذا الجزء على دمج المدنّس الدنيوي الماثل في ممارسة الجنس، مع المقدّس المتعالي الماثل في الحب الحقيقي والحب الإلهي، فالله عبارة عن فكرة ميتافيزيقية عن الحب، أما حب الجسد في هذه الرواية فتمثّل على المستوى المادي في جسد المرأة باعتباره دالا بما يملك من مزايا حسية على ذلك النموذج المتعالي للحب، ولعلّ الحب في صورته تلك المجردة المقدّسة أم المادية المدنّسة هو الموضوع الجوهري المقصود من هذا التوصيف الرابط بين الله كخالق متعالٍ والانسان كمخلوق أرضي، انطلاقا من اشتراكهما في صورة الحب الانشطارية التي تجمع في شقيها النقيضين في الخطاب الشرعي والعرفي ليتكاملا ويتشاكلا في الخطاب التخييلي الروائي حيث حدود المقدّس والمدنّس اللذان يتجاذبان حياة الانسان ويصنعان سعادته وشقائه في دنياه و آخرته.

عمدت الكثير من النصوص الروائية العربية إلى استثمار موضوع الجسد وفق رؤى متباينة، وبتوظيف فني جمالي يختلف من مبدع الى أخر،وقد شغلت رواية " لولم اعشقها" بقضية الجسد،لأن وضع الجسد في الخطاب الثقافي العربي العام والخطاب الروائي خاصة له مدلولات مهمة تتعلق بالمحرم والمقدس والديني والانثروبولوجي، واعادة طرح أسئلة الذات والهوية والكينونة والعلاقة مع الأخر.

يتقاسم نص رواية "لولم أعشقها" جسدان،الأول شبقي، رغبوي دنيوي، باحث عن اللّذة والمتعة من خلال الجسد الأنثوي، والثاني الجسد المبجل أو المقدس الذي تتجلى توصيفاته بين الزوجة الحبيبة.

يتمظهر النمط الأول في شخصيات(فتحي رضوان، كاظم راغب شداد) حيث حملهم السيد حافظ بالقيم الثقافية الذكورية ذات الطابع الفحولي القائم على البحث عناللّذة بصورتها الجسدية -الحبيبة - ضمن نسق ثقافي محدود الرؤية لايؤمن بالبعد التواصلي الانساني الا بالوصول الى جسد الأنثى مثل شخصية راغب شداد، وشخصية فتحي رضوان.

ففتحي رضوان نصف شخصية لم يرد لها السيد حافظ أن تخرج مكتملة، لذلك جعل لها امتدادا آخر عبر شخصيات أهمها

(سهر – حياة – تهاني) وهذا اللا اكتمال في رسم حدود الشخصية ينبثق من التصرفات اللامقنعة التي تؤطر أفعالها.
ففتحي رضوان بتجربته الحياتية الجنسية الواسعة والممتدة على الجسد الانساني غير مقتنع في تصرفاته ووجوديته العدمية الخاصة به والباحثة عن الجنس والمتع والفضاءات الجديدة.
إن فعل الانغماس الجسدي في المتع الذي تمارسه الشخصيات (كاظم – منقد –راغب – فتحي – شداد)، هو الموجه الأساسي للبنيات الحكائية في النص الروائي، فهو المحرك للأحداث والعامل الرئيس في تنشيطها، وهو من رسم الأمكنة وحدّد ملامحها وفق رغبة شبقية بينها وبين الجسد الانساني.
فالعلاقات التي تنشأ ضمن هذا المحور بين الذكر والأنثى أساسها الرغبة في امتلاك الجسد، الشهوة، وتتحكم فيها ثنائيات ضدية أهمها (الذكورة-الأنوثة) (الاكتمال-النقص) (الحضور-الغياب) (مانح-مستخدم)...الخ.
وتتولد هذه الرغبة من معطى حضاري مترسخ في الذاكرة البشرية يعمل في أغلب الأحيان بوصفه نسقا ثقافيا ثابتا، فهو يرسم صورة المرأة في ذهنية الرجل الفرد على أنها جسد شهواني حامل للذة والعلاقة بينهما تسويقية قائمة على الاشباع فالثقافة الذكورية أحادية الرؤية لا ترى في المرأة الا

الجسد وهذا ما يتضح لنا في قول راغب: "لست الرجل الوحيد الذي اشتهى امرأة متزوجة...دائما نطمع في نساء لرجال آخرين"[1]، وأكمل حديثه قائلا: "أنا رجل مريض بعشق الجنس وأبوك كذلك"[2].

ان التركيز في المقطع السابق لا يكون على الجسد الأنثوي فحسب بل هناك تأكيد على المشاركة في الفعل الجنسي ومحاولة اكتشاف جسد الآخر من الطرفين كحياة.

و بهذا فالفعل الجنسي يتحول إلى معركة إثبات وجود وتحقيق كينونة وطريق لسحق الآخر وتدميره وإقصائه، وهنا ينتفي البعد الإنساني وتصبح عملية بيولوجية الغرض منها اشباع الغريزة والتنفيس عن عقد ومكنونات وانعكاس للواقع المتردي المرير، مثل قول فتحي:

"أمشي مكشوف الرأس وأبتسم بلا سبب وأضحك بلا سبب وأعرف النساء وأعاشرهن ربما لسبب هام هو أنني أقاوم الاكتئاب العميق الذي لا يراه الناس في وجهي ... عندي اكتئاب شديد عميق من الوطن ... فالوطن دائما يحك رقبته وظهره بالشهداء وينساهم ... أنا لا أريد من هذا الوطن إلا

(١) الرواية، ص ٤٥.
(٢) الرواية، ص ٤٦.

رغيفا طازجا ساخنا وقطعة جبن وخمس بيضات مسلوقة"[1].
فضلا عن التمثيلات الجسدية ذات الغائية الرغبوية المرتبطة بمبدأتحقيق اللّذة، فإن هناك خيطا رفيعا يربط بين عهد الجسد وعهد السلطة الفاسدة، ويرى بأنهما متشابهان لكن الفرق بينهما في الغايات لا في الوسائل، فغاية الأول تنحصر إمّا في المكسب المادي أو تحقيق المتعة الجسدية أما الثاني (السياسي) فهدفه التدمير، التسلط والقمع.
فنص الرواية يتجاذبه جسدان، الأول دال على الرغبة والمتعة واللذة، والثاني جسد مقدّس يؤشر على قيم النبل والجمال والجلال.
إنّ المقدّس بمختلف تجلياته يكتسب مشروعيته عندما يضع الناس حدودا له، لا يمكن تجاوزها إلّا بخرق المحرمات وانتهاكها، لهذا يبقى المقدّس خالدا.
نص رواية (لو لم أعشقها) هو نص يحتفل بالجسد على مستويين، رغبوي ومبجّل، فيستعرض الحياة الواسعة بكل تمفصلاتها بعيدا عن الرؤية الأحادية للجسد التي يمكن أن تجعل منه أنموذجا ثابتا لا يقبل التحول والتغيير.
يقدّم الجسد المبجل في النص الروائي ضمن خطين متوازيين:
الأول: جسد الأم

---

(١) الرواية، ص ٢٣.

حيث يحتفي نص الرواية بالأم ويقدمها معادلا موضوعيا لأشياء عدّة من أهمها الوطن على مستوى الثيمات ، والفضاء الزمكاني على مستوى البناء الفني ، فجسد الأم جسد مبجل وحاضن للرجل يقوم عليه ويمنحه الحياة والحنان.

أمّا شهرزاد فتمثّل دالة مكانية زمانية تتسع دلالاتها لتشمل الوطن (الشام) – سوريا – بأكمله، وتتماهى مع الأمكنة (الجبل ــ المدينة دبي) وتبادل الأدوار الدلالية معها... المرأة / الأم، إنّ شهرزاد أنموذج نسائي مغاير ومخالف للغة الجسد التي تطفح بها الرواية ، وعبر جسد الأم يختزل الوطن في المرأة والمرأة في الوطن، فشهرزاد تمثّل الوطن / الشام بامتداده واتساعه، فهي لم تنجب لكن كانت بمثابة الأم لسهر ووردة.

ثمّ نجد جسد الزوجة أو الحبيبة و هو النمط الثاني للجسد المبجل في نص السيد حافظ،

إنّ الثنائية التي تشتغل على امتداد النص هي ثنائية الطهر والعهر، فمع الجسد الرغبوي الشهوي تتضح الصورة الأولى ومع الجسد المعشوق- المحبوب تتجلى الصورة الثانية ويتضح هذا في علاقة شهرزاد وزوجها وكذلك نجده عند فتحي وزوجته لهذا فإنّ المودة والألفة هما ما يميزان العلاقة البعيدة عن اللذة والرغبة في امتلاك الجسد للجسد الإنساني

حرمة وقدسية، وهو مكان يمارس فيه وبه الفرد سلطته ويكون حميما وأليفا مثل بيت الزوجية، وانتهاك قدسية الجسد يمارس تحت ضغوط سياسية، اجتماعية، ثقافية مثل استغلال شداد لسهر.

تعمل ثنائية الطهر والعهر بطريقة معكوسة ومفارقة تحمل في ثناياها دلالات السخرية السوداء من الأوضاع الاجتماعية، والإنسان المقموع المتصل بسلطة السياسة والترهيب والقمع والانتهاك ، و أهم مميزات العلاقة بين الفرد الهش والسلطة القوية، كما تعرض لنا رواية (لو لم أعشقها) صور المجتمعات الشرقية والعلاقات المرضية (السادية ـ الماسوشية) التي تتحكم في الأفراد والسلطات.

صورة الأنثى بين التقديس والدونية:

صورة العشيقة:

إنّ الغريزة الجنسية تتولد عنها الكثير من العلاقات، والنشاطات الإنسانية فهي ترسم ثقافة الانسان، يقول فيليب كامبي: « كل ثقافة الانسان في جميع تنوعاتها إنّما تتصل قليلا أو أكثر بغريزته الجنسية والعلاقات المتولدة عن هذه الغريزة بين الرجل والمرأة»[١]، ومنه إنّ أساس التجمع

---

(١) فيليب كامبي، العشق ــ الجنس ــ المقدس، تر: عبد الهادي عباس، دمشق، مطبعة ألف باء ١٩٩٢ ، ص٦.

البشري، هو الاتصال بين الرجل والمرأة وهذا الاتصال يبدأ بميل أحد الطرفين نحو الآخر، كما أنّ الرواية الجديدة لم تعد تحدد الزواج كهدف وثمرة للحب، بل صار الحب يكفي وحده، بل لم يعد الحب أيضا هدفا، ونحدد هاته المرأة في شخصية ليزا والعلاقة التي تجمعها بكاظم مثل: «خرجنا من المدرسة في الظهيرة وركب كل واحد سيارته واتجهت إلى بيتها ... لا مفر من العشق الحرام الذي يحاصرك هل لأنّ هذا العشق مجنون أنت تعشقه.... نعم إنّ عطر جنون العشق يوجع الروح قبل القلب ويخجل الحرف عن التعبير...»(١)، وأيضا «حاولت أن أنساك لم أستطع كاظم لا بد أن نعيش سويا في أي مكان بعيدا عن أهلك وأقاربك والعمل... ونترك هذا الشرق المعقد من الجنس والمضطرب العقل في فهم الإيمان»(٢)، فطبعًا كاظم رجل متزوج وليزا امرأة متحررة فعلاقتهما مرفوضة مثل: "ما علاقتهم بحبنا"(٣) رد كاظم "أنا رجل متزوج".(٤)

صورة المرأة الخائنة:

تجسّدت الخائنة في رواية (لو لم أعشقها) في شخصية سهر كونها تخون زوجها منقذ مع فتحي رضوان، كالحوار الذي

(١) الرواية، ص١٠١.
(٢) الرواية، ن ص.
(٣) الرواية، ن ص.
(٤) الرواية، ن ص.

دار بين شهرزاد وسهر:

«- المرأة لا يحميها ألف رجل من الخطيئة لو أرادت فعلتها...

- أنا أفعل الخطيئة؟

- لا... أنا.

- خالتي أرجوك لا تجلديني بسبب مشاعري... أرجوك».[١]

وحين اكتشاف منقذ خيانة سهر له مع صديقه فتحي: «ماذا تفعل يا فتحي عندما تخونك زوجتك تهاني مع شخص آخر؟ ماذا تفعل؟ رد يا فتحي.. لا تسكت»[٢] و «كيف سأبدأ الحديث مع فتحي الكلب الخائن؟.. هل أدخل في الموضوع مباشرة؟ هل أشير له؟ هل أقول له أعرف أنّك على علاقة مع زوجتي؟»[٣]. هكذا كان منقذ يستعد للنقاش مع فتحي -

صورة المرأة الزانية:

تجسّدت المرأة الزانية في كل من شخصية حياة، تهاني، ليزا ومارينا، مثل: خطيئة حياة مع فتحي: «قمت للجلوس بجوارها قالت وهي تتدلل بصوتها غنج خفي حاولت أن أقبّلها دفعتني مستنكرة وجرت إلى غرفة النوم... دخلت الغرفة خلفها... ضممتها تملّصت مرة ومرة ومرتين ثم استسلمت..

---

(١)الرواية، ص ٩٢.

(٢)الرواية، ص ٢١.

(٣)الرواية، ص ١٩.

ما أروع لحظة الاستسلام للأنثى بدلال...»[١]، خطيئة ليزا وكاظم مثل « حملتها من فوق الكرسي وأنزلتها ضمّتني بعنف إلى صدرها ضممتها»[٢]، إلى غاية حضور الخطيئة، وخطيئة فتحي مع سهر في سيارة مثل: « دخلت على الكرسي الخلفي أغلقت الباب... وجدتها تخلع الفستان الأسود».[٣]

صورة المرأة الزوجة:

الزواج ظاهرة اجتماعية هامة لتكوين الأسرة والربط بين الذكر والأنثى ربطا ينتج عنه التواد والتآلف والسكن وبقاء النوع بصورة منظمة، وقد خصصت له المجتمعات قوانين مدنية، وأكّدت عليه الشرائع السماوية.

رغم أنّ المرأة والرجل يكونان معا أسرة واحدة إلّا أنّ العلاقات السائدة التي يرسمها السيد حافظ تجعل من الرجل سيد البيت الآمر الناهي فيها، والمرأة تمثّل التابع مثل علاقة كاظم ووردة التي لم تستطع ترك زوجها يغادر المنزل بالرغم من انّه لم يحبها مثل« انهارت وردة تحت قدمه تشبثت بها:

- حقك علي... أبوس حذاءك لا تذهب، حقك عليّ
- لا لن أجلس لحظة واحدة بعد الآن سأترك البيت».[٤]

---

(١)الرواية، ص ٦٠.
(٢) الرواية، ص ١٠٠
(٣)الرواية، ص ١٤٨.
(٤)الرواية، ص ١١١.

ومنه نجد أنّ السيد حافظ يسير بالزاوية نحو غوص أكثر عمقا، ويركّز دوما على الصراع القائم في المجتمع، فتبدو المرأة رمزا أكثر منه كائنا تابعا للرجل وظلاله.

كما أنّ من أول واجبات المرأة أن تكون امتدادا لزوجها فتنفي عن نفسها إنسانيتها وتفقد أمامه شخصيتها« وكي تكيف نفسها حسب ما تقتضيه رغبة الزوج كأن لا قيمة لها سوى رضا الزوج عنها، وتقضي نهارها في إعداد الطعام له، وتهيئة نفسها له لاستقباله».(١)

والحديث عن صورة الزوجة في رواية (لو لم أعشقها) تمثّلت في شخصية تهاني مثل: « حين وصلت البيت كانت تهاني قد جهّزت على السفرة الملوخية والدجاج المشوي والسلطة... وصح النوم يا أستاذ فتحي جهّزت لك الغداء ملوخية وفراخ مشوية».(٢)

صورة المرأة الأم:

الأم هي محور الأسرة وسر استمرارها، ولذلك لعبت دورا بارزا في المجتمعات منذ القدم، فكانت رمزا للمحبة والحنان والتضحية، ورمزا للأرض والكاهنة والعرافة في المجتمعات

---

(١)إيمان القاضي، السمات النفسية للرواية النسوية في بلاد الشام، ١٩٥٠، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور حسام الخطيب، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة رمق، ١٩٨٩، ص ٣٤.

(٢)الرواية، ص١٣٦.

القديمة، فللعلاقة المشيمية بين الأرض والأم حيزا واسعا في الروايات، ولم يكتفِ السيد حافظ بتقديم الصورة النمطية للأم وهي الصورة المشرقية التي تمثّل التضحية والصبر والعطاء، بل قدّم أيضا الصورة السلبية للمرأة الأم، مثل سهر زوجة منقذ وهي نموذج للمرأة البرجوازية الساذجة.

رواية لو لم أعشقها تحتفى بمقدساتها:

لا يمكن بأي حال من الأحوال التعاطي النقدي مع النصوص الأدبية التي تنفي استفادة أغلبها مما يرشح به الخزين الأسطوري و الديني من أنماط حكي وفنون تخييل، وهي استفادة يبررها نزوع الأدب والدين كليهما، باعتبارهما فعاليتين تتبادلان التأثر بواقع الإنسان والتأثير فيه، إلى نشر الثابت من القيم الإنسانية كالخير والعدل والحرية، واشتراكهما معا في توظيف الأسطورة لتحقيق ذلك النزوع، وبناء عليه، وجبت إضاءة دور الأدب في عضد منجزات الفكر من جهة كونه يمثل فضاء يستطيع أن يستوعب المقدس في أخلاقيته، وسبيلا إلى البحث فيه بحثا حرا وذاتيا.

ففي رواية " لو لم أعشقها" نتعرف إلى مظاهر حضور قداسة الحاكم وذلك من جهة كونها فضاء سرديا يكشف فيه الروائي عن نمط من أنماط علاقة حاكم عربي بمحكوميه، كما أنّها

رواية تقوم بتعرية المسكوت عنه سياسيا في واقعنا العربي والسخرية منه.

ومنه إنّ اتصال نص لو لم أعشقها بالنص المقدّس ساهم في إغنائه، سواء على مستوى الدلالة أو على مستوى البناء الفني، إذ وجد الأدبي في الديني كونه الأسطوري على حدٍّ فاتّسع حجم التخييل فيها، وتكثّفت رموزه، وشاعت البلاغة داخل نسيجه اللغوي، وهو ما جعلها ترقى مراقي البيان والسحر.

تنويعات خيالية لزمنية الفنية المقدّسة وتعدد أمكنتها:

يعد الزمن القاعدة التي تبني بها البنية السردية، وهو البعد الأساسي لها، إنّ وجود تمظهرات الخطاب الديني في البنية السردية مرهون بالزمن الفني، داخل هذه البنية التي تنهض أساسا على زمن ما، فهو الذي يشكّل تجربة الخطاب الديني إبداعيا، لأنّ ((الزمن هو الذي يوجد السرد))[١]، وتجربة الخطاب الديني داخل هذه البنية المختلفة.

وبناء على هذا المصوغ النقدي، تتوزع زمنية " لو لم أعشقها" عبر حقب تاريخية متباعدة (سنة ٥٩٥ه، العصر العباسي، الفاطميون، الزمن المعاصر) وهذه الأزمنة أقرتها

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي،

مؤشرات نصية، انفلت زمنها من الطابع الثلاثي المتعاقب لأشكال الزمان إلى وعي جمالي يحدده البناء الفني للرواية، ما يجعل النص مفتوحا على تعدّد أزمنته واختلافها وتباعدها، (زمن مستعاد وهو زمن تاريخي، وزمن الحلم أو الرؤية، والزمن الصوفي، وزمن الحاضر) وكلها تشكّل في تضافرها حركية الزمن في أغوار النص متحررا بذلك من تعاقبية الزمن، وسكونية المكان، فالزمن الروائي لا يخضع لأي سلطة إلّا سلطة جماليات النص وتفاعلاته مع القارئ، وبين القارئ ما يملك من خبرة جمالية يأتينا الزمن في هذه الرواية بطرق مختلفة ومتعددة وهم (الزمن المستعاد، وزمن التيه والضياع، والزمن الصوفي).

١ - الزمن المستعاد:

هو زمن الحلم أو الرؤية مثل الكابوس الذي شاهده فتحي حول تقسيم الوطن وكيف رآه عبارة عن جثة كبيرة يمشي عليها الناس مثل:

- فتحي استيقظ

- خير؟

- كنت تحلم وتصيح

- بماذا؟

- كنت تقول قسمتم الوطن يا أولاد الكلب

- كابوس؟
- نعم كابوس
- أرى كابوس المستقبل على هذه الأرض وهم يسيرون أمواتا أو نياما أو عميانا.(١)

ونجد أيضا حلم سهر لرابعة العدوية حيث استخدم السيد حافظ شخصية تاريخية دينية، وجعل الاتصال بين زمنين منقطعين، الزمن الواقعي المعاصر وبكل واقعيته المعتّمة ويمثله السارد والزمن المنصرم الذي تمثّله الشخصية التي صنعها الدين الإسلامي مثل: " حين أطفأت سهر نور الحجرة وجدت أمامها امرأة يشع من وجهها النور ... سألتها من أنت؟

قالت:

-رابعة العدوية... ويقولون عني أيضا أم الخير رابعة بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية، فأنا مثال رائع للحياة الروحية في الإسلام، ولدت في البصرة حوالي سنة ٩٥ ه ٨١٤ م في أسرة فقيرة".(٢)

٢ - زمن التيه والضياع:

وهو الزمن الراهن الذي يحياه أبطال الرواية من خلال البحث عن الذات وهو زمن صاغه تكرار سؤال أين نحن، وزمن التيه

(١) الرواية، ص ٧٨، ٧٩.
(٢) الرواية، ص ٢٦٦.

هذا يبعث بمؤشرات زمنية معاصرة احكي عن الواقع الراهن، تدفع بحركية النص نحو الانفتاح على أزمنة متعددة ومختلفة.

٣ - الزمن الصوفي:

يتوجه النص (رواية لو لم أعشقها) إلى الزمن الصوفي لينتقي منه رصيدا معرفيا، فتنشأ العلاقات بين ما هو سردي متخيل، وما هو صوفي ميتافيزيقي، إنّ علاقة ابن عربي والشيوخ الصوفية مع فتحي رضوان تتجلى في دور المهيب، فالعلاقة بينهم وبينه علاقة تنوير وهداية؛ ففتحي وسهر شخصيات مستغيثة.

يمثّل النص الروائي (لو لم أعشقها) البحث عن الذات والحقيقة والنور، حيث تمثّل هذه الرحلة، وما تخللها من تيه وضياع بحثا عن حقيقة هذا الواقع المأساوي و أسباب هذا التأزم، و خلفياته التاريخية، و عن أزمنة الصراعات التي لا تنتهي.

السيرةالذاتية
الباحثة : سناءنويوه

تاريخ الميلاد ١٨/٠٤/١٩٩٨

تخصص الدراسة في شهادة ليسانس دراسات أدبية

بعنوان مذكرة ليسانس البنية الزمانية والمكانية في رواية قدس الله سري.

تخصص الدراسات في شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر عنوان المذكرة :

"ثنائية المخاتلة بين النص الغائب و الصوره الذهنيه في مسرح السيد حافظ حكاية الفلاح عبد المطيع أنموذجًا"

الحب بين المفهوم الاصطلاحى و الممارسة الإنسانية
قراءة في رواية "لو لم أعشقها" للكاتب السيد حافظ

الأستاذة: سعاد جلال - الجزائر



تعد رواية لو لم أعشقها الجزء الأخير من سباعية السيد حافظ، وقد كتبت هذه الرواية في شكل خاص إذ قسمت إلى علامات وليس فصولاً وتلك العلامات جاءت كمؤشرات لحل لغز الرواية.

جاءت فقرات بعنوان"روح" تناول فيها الكاتب كل معاني الحب التي تصل لتفسير المشاعر الإنسانية ، وبعدها مباشرة وضع اقتباسات من روايات عديدة مما يشدّ انتباه القارئ ويزيد جاذبية لهذا الأسلوب الجديد.

فالكاتب يجعل من الحب المحور الرئيس في الرواية بجميع تمظهراته من مقدّس و مدنّس، وكل شخصية حملت معها جانبين من الحب المناقض (فتحي. كاظم. سهر. حياة. تهاني. شهرزاد. شداد. حامد وغيرهم...)

وهذه هي الطبيعة الإنسانية التي ترتاح مع المشروع وتجرّب المحرم .

فالرواية تتحدث عن حياة العديد من الشباب من جنسيات مختلفة في غير أوطانهم لكل من هؤلاء الشباب حياته العاطفية الخاصة.

تنطلق أحداث الرواية مع الاتصال الهاتفي من "حياة " "لسهر" ليكون بذلك أول لقاء بين عشيقتي *فتحي* الذي مثل الرجل الشرقي الصريح المتحرر ، العاشق لجميع النساء، الغارق في الخطيئة (بعض النساء هلاك وكل النساء نجوم في السماء بعضهن تضيء وبعضهن باردات ومظلمات ومعتمات عنيدات) .

فتحي هو النفس العاشقة للوفاء،، للجمال، للحرية وفي نفس الوقت خائنة وكاذبة ، لم تكن تقتصر علاقة فتحي *بسهر* المرأة المتزوجة أو حياة زميلة العمل بل كان متزوجًا أيضًا بتهاني التي مثلت رمز الوفاء أو الحب الحقيقي .

تسير أحداث الرواية إلى بيت كاظم الذي لا يختلف حاله عن حال فتحي وهو الذي عشق * ليزا* وامتلكت قلبه وظلت روحه معلقة بها بعد أن هدده شداد للامتناع عن مقابلتها، فيبقى مع عائلته جسدا بلا روح إلى أن يعود راغب شقيق وردة فجأة. وهو الذي يمقته ليجد بمضايقته حجة للهروب مع ليزا بعيدًا.

كان راغب رجلًا مريضًا بالجنس لا يعرف للحب مسلكًا ولا للأخلاق.
وكذلك هو الحال مع شداد شريكه في العمل و الذي لم يكن هدفه العمل مع راغب ؛ وإنما نهبه كما يفعل كل مرة ـ وداخل هذه الدائرة كانت سهر -الفتاة الشامية- حلم كل هؤلاء الرجال، فجمالها الأخاذ يستهوي عقول الرجال وقلوبهم .
يستمر فتحي في الخطيئة مع حياة بعد مغادرة سهر للحاق بشهرزاد إلى أن يكتشف أمره و يطرد من العمل ويعود إلى مصر مفلسا وينتهي به الأمر مختفيا إلى المجهول.
سهر وبعدما نال منها شداد ما يريد تحتلها حالة الندم و بعد لحاقها بشهرزاد إلى موطنها ، تصدم عند رجوعها بخيانة زوجها لها مع الخادمة الفلبينية فتعلن توبتها؛ لكن في النهاية غواية المال تنتصر وتعود إلى حالتها الأولى ، وبعد مرور السنين يسوق القدر ابن فتحي ليعمل لديها .
يبرع الراوي في إثارة فضول القارئ لإكمالها فقد قدمها له كأجزاء كل جزء يدفع به لقراءة الجزء الآخر وبإتحاد أجزائها تتشكل الصورة الكلية كلوحة فنية ـ و فيها تطرق الكاتب للعديد من متناقضات الحب ،منها حب الوطن وحب الشهوة ،وهذا ما تجسد في شخصية فتحي رضوان الذي عشق بلده رغم تخليه عنه وخذلانه إلا أن مشاعر الانتماء و الحنين له ظلت و بقيت

كنبض سار يأبى التوقف ، ومن جهة أخرى فهو يرى في النساء الحب والملجأ الذي يعوضه عن اغتراب وطنه .بالإضافة إلى حب الخطيئة والخيانة التي يراها تسود جميع النفوس مع عدم وجود مبرر لها حتى في نفسه (أنا أحبك يا تهاني ولكن قلبي يفيض حبا يكفي نساء كثرا ولكني حتى الآن لم أفهم سر الخيانة في العشق). وهنا يضع الكاتب مفارقة بين الحب الأزلي الطاهر الذي يتجذر في ذات الإنسان ، والحب الشهواني الذي تقوده الغريزة وتفضى نهايته إلى الفساد .

ففي شخصية *فتحي* اتضح صوت الضمير الحي الذي يدعو إلى الاستقامة والترفع بالذات عن المعصية من خلال الشخصيات التي كانت تتهيأ له وتكلمه . وهنا تجلي لحب الذات بين العصيان والطاعة .

أيضًا تمظهر الحب في شخصية شهرزاد كحب صادق إنساني وتمثل في الإحساس بالجميع ومساعدتهم دون مقابل ،فهي التي وهبت نفسها لبلدها وفقرائه وأطفاله على حساب نفسها وزوجها .وبذلك فهي رمز الإنسانية .

(أنا عشت بالناس وخدمة الناس صغيرهم قبل كبيرهم وضعيفهم قبل قويهم أنا عشت بالناس ...)

تجلى الحب بين الذات والحياة في شخصية *سهر *التي استغلت جمالها للوصول إلى الحياة المثالية التي تريدها .وفي

نفس الوقت فقد كانت أكثر امرأة يريدها معظم الرجال فقد مثلت رمز الجمال (سيدة لطيفة جميلة لها حضورها الطاغي .لها عطر فواح خاص)

فلم تعرف الحب حقيقة وإنما جعلته مقابلا لحياة الرفاهية التي هاجرت وتزوجت من أجلها (أنا هربت من سجن القرية من أجل أن أتي إلى هنا كي أعيش الحرية والجمال المطلق) .بذلك أرضت رغباتها لكنها دمرت كيانها .

لا تختلف شخصية شداد عن سهر كثيرا فقد مثلت النفس المحتالة الشريرة التي طغى عليها الجشع وحب المال .وقد تجلى الحب لديها في التملك و تريد الوصول لأي شيء ترغب به مهما كان الثمن .كما فعل مع سهر(أريد أن أدللها أن أثمنها أن أعرفها أنها جوهرة وأنا الجواهرجي) وكما خطط لنهب راغب (يود الاستيلاء على أموال راغب بحيلة ناعمة تمكنه من الاستمرار في دبي).

أما عن شخصية تهاني فقد تجلى معها معنى الحب الحقيقي وهو حب دون مقابل حب للروح فقط .

لذا قررت الاستمرار مع فتحي بالرغم من علمها بخيانته لها ، وهنا كانت رمزا للمرأة الشرقية الصابرة والوفية من أجل عائلتها .(تهاني أيقونة مصرية بسيطة وجميلة جمالا هادئا ليس صاخبا ولا يلفت الأنظار ... وكل ما تعرفه عن عالم

الرجال هو عالم فتحي ... كل أحلامها أن تسعده أن يهتم بها أكثر)

تمظهر الحب لدى منقذ لا يختلف كثيرا عن تهاني ، فقد كان حبا مقدسا من زوج لزوجته بالرغم من علمه بخيانة زوجته له مع صديقه ،كيف لا وهو الذي نال أجمل زوجة . (لم أتخذ قرار الطلاق لأنني أحبها ....كيف أطلقها و أهل القرية والجبل الذين يحسدونني على زواجي من تلك المرأة الجميلة)

ارتبط الحب عند جل شخصيات الرواية بالممارسة الجنسية مما دل على الفساد أكثر منه على الحب ،فالجنس حاجة الجسد والذي يكون دافعه بالدرجة الأولى الجمال الذي يثير الشهوة الجنسية عند الرجل والحب حاجة الروح والذي يكون نابعا من القلب.فالرواية قسمت الأدوار بين الرجل المهتم بالجمال والجسد والجنس في حين أعطت للمرأة دور الحب الجمال والغواية .

تناولت أيضًا علاقة الجنس وتأثيرها في الحالة النفسية للرجل والمرأة على حد سواء .من كل هذا كانت الممارسة الجنسية غير الشرعية التي قادتها الشهوة تارة والحب تارة أخرى سببا في الاضطراب النفسي للعديد من الشخصيات .

طرحت فكرة الشرف بمفهوم ضيق في الرواية كما اتضح لدى شخصية "سهر " فلم تتذكر الشرف إلا بعد الاعتداء عليها من طرف "شداد "

بالمقابل لم تحسب للشرف حسابا عندما مارست الجنس مع" فتحي " ووضعت مبررا لنفسها تحت مسمى الحب .(ركبت السيارة وهي تجهش بالبكاء وتصرخ بعد أن أغلقت زجاج السيارة ... يا ويلي يا ويلي أصبحتي .... يا بنت سالم ..)

فالحب هو البعد عن الخطيئة والحب هو التقديس والحياة والتعلق بالخالق للارتقاء بالروح إلى الجنة

إذن فالعشق يتحول من إحساس وسلوك إنساني إلى تصور عام يعكس ما تخفيه النفس البشرية من متناقضات وراءه (الحب /القسوة)(الشر /الخير)(الحياة /الموت)

سافرت بنا الرواية عبر العديد من المحطات من أماكن مختلفة مع شخوص مثلوا الذات الإنسانية لتلخص العديد من المعاني الحسية للعشق أو الحب كشعور إنساني وكخطيئة وكإحساس مؤقت . و لم يكن لها بطلين بالمعنى الواضح فقد جعل الكاتب معظم الشخصيات تسير في فلك واحد إلا أن المتتبع لأحداثها يعي التميز في شخصية فتحي رضوان الذي أراد إثبات ذاته في دبي بعدما خذله وطنه إلا أنه لم يتميز في شيء سوى في علاقاته مع نساء كثر . فيما مثلت سهر التمرد على المجتمع

أو على الوطن ككل فتنتقل إلى دبي مدينة الأحلام لتحقق ما تريد مستغلة في ذلك جمالها

جمّل الكاتب محور الحب في الرواية بقالب أدبي فني بديع .جمع فيه بين جمالية الأسلوب وعمق المعنى الذي يفتح للقارئ سبل التحليل والاستيعاب وتقديم العديد من القراءات .لتظهر أهمية الرواية وكل خصائصها الجمالية في إبداع الكاتب لأساليب الحوار من مونولوج (الحوار الداخلي للشخصيات) وكذلك ادماجه للشخصيات التاريخية المتخيلة وذلك من بداية العمل لنهايته بالإضافة إلى تعدد اللهجات التي تنوعت بين الشخصيات (اللهجة سورية مصرية عراقية خليجية) ، وهذه الخاصيات تعكس رواية ما بعد الحداثة وكذلك خاصية تنوع المواضيع فضلا عن موضوع الحب الذي يطغى عليها .

كما أن الكاتب كان يستحضر الآيات القرآنية لتعرية ما تحمله النفس البشرية من عصيان للأوامر الربانية .وتبيان الخطيئة (أكثرهم منافقون) (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس) وبهذا إستطاع بحنكته أن يعري الذات الإنسانية "الروح "(الدنيئة .المقاتلة .الأصيلة .البريئة .الخائنة الفاسدة ...)، كما أنه كشف عن فكرة الفساد الأخلاقي الذي ساد معظم النفسيات والمجتمعات .

و بالحديث عن البعد الروحي فقد نجده من خلال استحضار شخصيات تاريخية إسلامية ضمن الحوار والتي كان هدفها معاتبة الشخصيات المخطئة والدعوة إلى الاستقامة مثل (رابعة العدوية ويقولون عني أيضًا أم الخير بنت إسماعيل القيسية العدوية البصرية .فأنا مثل رائع للحياة الروحية في الإسلام).

و ختاما كان لعنوان الرواية دلالات كثيرة و احتماليات أكثر.

فمن هاته التي بعشقها انقلبت الموازين ؟ قد تكون زوجة أو أما أو عشيقة أو وطنًا .

وكيف ستكون الحياة لو لم يعشقها ؟.

السيرةالذاتية

الاسم واللقب : سعاد جلال
تاريخ الميلاد ١٩٩٧/٠٤/١٥
تخصص الدراسة في شهادة ليسانس دراسات أدبية
تخصص الدراسات في شهادة الماستر أدب عربي حديث ومعاصر
عنوان مذكرة الماستر "النص الموازي في مسرح العبث مسرحية يا طالع الشجرة لتوفيق الحكيم .أنموذجا. "

نبذة عن الكاتبة

- د. نجاة صادق الجشعمى
- من مواليد البصرة – العراق
- عملت بسلك التدريس في وزارة التربية والتعليم
- حصلت على رسالة الدكتوراة من الجامعة الأمريكية في التاريخ.
- حاصلة علي دبلوم تنمية بشرية "دبلوم منهجية الرعاية الخاصة مهارات ومهارات حسية"
- تكتب دراسات حول الأدب والمسرح العراقى ونشرت في عدة صحف أهمها جريدة "مسرحنا" جمهورية مصر العربية.

لها العديد من الكتب :

١- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء أول)
٢- التشظى وتداخل الأجناس الأدبية في الرواية العربية (جزء ثانٍ)
٣- التنوع الدلإلى في مسرح الطفل ما بين التناص والتراث والإخراج
٤- رؤية النقد لعلامات النص المسرحى لمسرح الطفل في الوطن العربي
٥- تمظهر التجديد في بنية السرد في القصة القصيرة
٦- ديوان لست مؤهلة للعشق

٧- حكايات نساء بغداد والبصرة بين الندم والحسرة
٨- عواطف البدر رائدة مسرح الطفل في الكويت
٩- المشاكس "رحلة في رحاب الكاتب السيد حافظ
١٠- السيد حافظ في عيون الباحثين والنقاد الجزائريين
١١- السيد حافظ في عيون نقاد المغرب (جزء ١ ، ٢)
١٢- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج أول)
١٣- المسرح التجريبى واختلاف الرؤى في التأليف (ج ثان)
١٤- الحب الملكى – سحر التنهيد والعشق – مقتطفات من سباعية السيد حافظ الروائية.
١٥- فرسان المسرح العربي "من أجل النهوض بفن المسرح"
١٦- إشكالية وتمازج ملامح العشق المقدس والمدنس نموذجًا "رواية لو لم أعشقها" للكاتب السيد حافظ.
١٧ – الحب ما بين الاصطلاح والرمزية – دراسات نسوية.

لها تحت الطبع

١- شذى سالم نجمة العراق

فهرس